

**The Image of Place in the Poetry
Of Ahmed AL- Saqqaf**

إعداد الطالب:

بدر نايف الرشيدى

إشراف الأستاذ الدكتور:

عبد الرؤوف زهدى

رسالة ماجستير مقدمة لكلية الآداب و العلوم
استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير
في اللغة العربية و آدابها

قسم اللغة العربية و آدابها

كلية الآداب و العلوم

جامعة الشرق الأوسط

2011 م – 2012 م

تفويض

أنا بدر نايف هادي الرشيدى أفوض جامعة الشرق الأوسط بتزويد نسخ من رسائلي ورقيا وإلكترونيا للمكتبات ، أو المنظمات ، أو الهيئات والمؤسسات المعنية بالأبحاث والدراسات العلمية عند طلبها .

الاسم : بدر نايف هادي الرشيدى

التاريخ : 2011 / 7 / 21

التوقيع : 

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة وعنوانها : صورة المكان الفنية في شعر أحمد السقاف
وأجيزت بتاريخ : 21 / 7 / 2011 .

التوقيع



أعضاء لجنة المناقشة :

- 1- الأستاذ الدكتور : عبد الرؤوف زهدي
- 2- الأستاذ الدكتور : سعود محمود عبد الجابر
- 3- الأستاذ الدكتور : عبد الكريم مجاهد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شكر و تقدير

الحمدُ لله الذي علّم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

يسعدني أن أتقدم بالشكر الجزيل، ووافر التقدير، وعظيم الامتنان إلى الأستاذ الدكتور عبد الرؤوف زهدي الذي أشرف على هذه الدراسة، فكان خير معين، وخير مرشد، فقد أرشدني إلى طريق البحث بالعلم والمعرفة والصبر والأمل، فرافقني في هذه الرحلة الشاقة الممتعة دون ملل، فاللسان يعجز عن ذكر فضله ومساعدته ؛ لأنه كان يتابعني خطوة خطوة إلى أن اكتمل العمل، وقد تعلمت على يديه الصبر وتوخي الدقة وتوثيق المعلومة من مصادرها الأولية، فجزاه الله كل خير، ومّتعته بالصحة والعافية.

كما أخص جزيل الشكر للأساتذة الأجلاء أعضاء لجنة المناقشة على ما بذلوه من جهد في قراءة رسالتي، وفي تقويمها، وإنني سأكون سعيدا ممتنا بالإفادة من ملاحظاتهم القيمة وآرائهم السديدة.

وأقدم بالشكر والتقدير إلى قسم اللغة العربية ، بكلية الآداب في جامعة الشرق الأوسط .

وإلى أساتذتي الكرام في هذا القسم ،لما قدموه من علم ومعرفة وعون ومساعدة ونصح وإرشاد كان له دور في إنجاز هذا العمل .

ولا يفوتني أن أتوجه بالشكر والعرفان إلى كل من أعان على إنجاز هذه الدراسة بكلمة ، أو نصيحة أو تشجيع أو دعاء شدّ من عزيمة الباحث من قريب أو من بعيد .

أسأل الله أن يتقبل هذا العمل خالصا لوجهه ، وأن ينفعنا به ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين.

الإهداء

إلى الذين منحوني الثقة بالنفس ، وحضّوني على المضي قدماً إلى طلب العلم.

إلى والدي العزيز أطل الله عمره .

إلى والدتي الغالية ، أدامها الله ورعاها وحفظها من كل مكروه .

وإلى اللّتين لو تتوانيا عن مدّ يد العون والمساعدة

إلى زوجتيّ الغاليتين.

وإلى من هو أهلي في الحياة ، وقرّة عيني :

أبنائي حفظهم الله

وإلى كل إخوتي وأهلي وأصدقائي الأوفياء .

أهدي هذه الرسالة .

فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
أ	الغلاف
ب	التفويض
ج	قرار لجنة المناقشة
د	شكر وتقدير
هـ	اهداء
و - ك	فهرس المحتويات
ل - م	الملخص باللغة العربية
ل	الملخص باللغة الإنجليزية
2	الفصل الأول ويشتمل على مبحثين:
3	المبحث الأول : المقدمة
3	مشكلة الدراسة
4	أهداف الدراسة
4	أهمية الدراسة
5	حدود الدراسة
5	منهجية الدراسة
6	المصطلحات
8-7	الإطار النظري والدراسات السابقة
9	المبحث الثاني :
11-10	التمهيد
25-12	أحمد محمد السقاف (تعريف عام)

26	الفصل الثاني ويشتمل على مبحثين :
28-27	المبحث الأول : تمهيد
30-28	المكان لغة
33-31	المكان فلسفيًا
33	المكان فيزيائيًا
34	المكان المطلق والمكان النسبي
36-35	الموضع والحيّز
37-36	المكان والهويّة
40-38	جدليّة المكان والزمان
42-41	شعريّة المكان
44-43	أهميّة المكان في العمل الفني
45	المبحث الثاني : صورة المكان الفنيّة في شعر السّقاف
50-46	صورة المكان الكويتي
62-51	صورة المكان العربي
63	الفصل الثالث ويشتمل مبحثين :
63	المبحث الأول : أبعاد المكان
72-64	البعد السياسي
77-73	البعد النّفسي
80-78	البعد الاجتماعي
80	المبحث الثاني : دلالات المكان
85-81	دلالة المكان المقدّس
87 -86	دلالة الحجارة رمزا للصمود
91-88	دلالة النفط وتداعيه في شعره
94-92	دلالة القبر في شعره
97-95	دلالة الصحراء

98	الفصل الرابع ويشتمل على مبحثين
102-99	المبحث الأول : علاقة المكان باللغة في شعره
105- 102	الألفاظ
112-106	المعجم الشعري للمكان
117-113	المشهد المكاني بين الوصف والصورة الشعرية
121-118	الصورة المفردة
128-121	الصورة المركبة
133-129	العاطفة المنبثقة من المكان
134	المبحث الثاني :
137-135	النتائج و التوصيات
144-137	المصادر والمراجع

المخلص

صورة المكان الفنيّة في شعر أحمد السقّاف

بدر نايف الرشيد

المشرف الأستاذ الدكتور : عبد الرؤوف زهدي

تهدف هذه الدراسة إلى دراسة صورة المكان الفنيّة في شعر أحمد السقّاف ، والتّعرف على أهم الصّور الفنيّة ودلالاتها وأبعادها في شعره ، من خلال دراسة تفصيلية لشعره .

وقد قسمت هذه الدراسة إلى أربعة فصول، تناول الفصل الأول مقدمة الدراسة وأهميتها ، ومحدداتها، والتعريف بشخصيّة الشاعر أحمد محمد السقّاف .

وتضمن الفصل الثاني : تعريف المكان لغة واصطلاحاً ، وفلسفياً وفيزيائياً وتعريف المكان المطلق والمكان النسبي ، ومعرفة الموضع والحيز للمكان والمكان والهويّة ، وجدلية المكان والزّمان ، وشعرية المكان ، ومن ثم معرفة أهمية المكان في العمل الفني . ثم التّعرف على صورة المكان فنياً في شعر السقّاف ، من خلال توضيحه لصورة المكان الكويتي خاصة ، والمكان العربي عامة .

و تناول الفصل الثالث : أبعاد المكان السياسية ، والنفسية ، والاجتماعيّة ، أمّا في المبحث الثاني ، فقد تناول دلالات المكان المقدّس ، ودلالة الحجارة رمزا للصمود ودلالة النفط وتداعياته في شعره .

وخصص الفصل الرابع : للحديث عن علاقة المكان باللغة عند السقاف ،من حيث الألفاظ ،والمعجم الشعري للمكان ، وتناول البحث المشهد المكاني بين الوصف والصورة الشعريّة ،ثم النتائج والتوصيات ، وقائمة المصادر والمراجع .

Abstract

Supervisor Professor: Dr. Zuhdi Abdul Raouf

Bader Naif ALRasheide

This study aims to examine the technical picture of the place in the poetry of Ahmad Saqqaf, and to identify the most important art images and connotations and dimensions of his poetry, through a detailed study of his work.

This study was divided into four chapters, the first chapter dealt with the introduction of study and its importance, and their limitations, and definition of personality poet Ahmed Mohamed al .

And ensure that Chapter II : Definition of the place language idiomatically, and philosophical and Vezaaúiaotarev where the absolute and relative position, and to know the position and space of the place, place and identity, and the dialectic of space and time, and poetic space, and then learn the importance of place in the artwork. Then identify the image of the place in the poetry of art Saqqaf, through clarification of the image of the place as especially Kuwait, and the Arab public.

And Chapter Three : The dimensions of the place of political, psychological, and social, but in the second section, the implications of eating the holy place, and the significance of a symbol of the steadfastness of the stones and the significance of oil and its implications in his poetry.

Devoted Chapter IV: relationship to speak in the place when Saqqaf , in terms of words and poetic lexicon of the place, and touched on in the scene between the spatial description and poetic image , and then the results and recommendations, and a list of sources and references

الفصل الأول

المبحث الأول

• المقدمة :

يتناول الباحث الصورة الفنية للمكان في شعر أحمد السقاف (1919 - 2010) من خلال النظر إلى ديوان شعره بالإضافة إلى حياته وثقافته، وتأثره، وجهوده الأدبية في الحركة الشعرية الكويتية.

وستقع الرسالة في ثلاثة فصول يتناول الفصل الأول خطة الرسالة، وبينما يتناول الفصل الثاني الصورة الفنية في الأدب وبخاصة من الناحية المكانية أما الفصل الثالث فسيعمل الباحث على دراسة الصورة الفنية للمكان في ديوان الشاعر وسيخرج البحث أخيراً ببعض النتائج التي يمكن أن يصل إليها.

مشكلة الدراسة وأسئلتها:

ستجيب هذه الدراسة عن الأسئلة التالية :

1. ما أثر بيئة السقاف في صورة المكان في ديوانه ؟
2. ما أشكال الصورة الفنية للبيئة والمكان في شعر أحمد السقاف ؟
3. ما خصائص صورة المكان الفنية في شعر السقاف؟

أهداف الدراسة :

تحاول هذه الدراسة الوقوف على صورة المكان الفنية في شعر أحمد السقاف وخصوصيته، و الآراء الشعرية التي أوردها في ديوانه " ، ومعرفة مدى إسهامه في تطوير الشعر الكويتي .

وتهدف أيضا إلى بيان أثر بيئة الشاعر على صورة المكان الفنية ، وإبراز الخصائص الشعرية لصورة المكان في شعره.

أهمية الدراسة

تكمن أهمية الدراسة: في تعريف أبناء الكويت بتأثير الكويت في شعرائها وإضافة ذلك إلى الأبحاث التي تهتم بالقضية نفسها.

وتكمن أيضا في إضافة معان جديدة للمكان وأشكاله ودلالاته في الشعر العربي وبخاصة الشعر القومي الكويتي .

حدود الدراسة :

تتناول هذه الدراسة صورة المكان الفنية في ديوان أحمد السقاف التي تناول فيها أثر المكان على شعره، وسيستعين الباحث " بأحاديث في العروبة والقومية" للشاعر نفسه .

منهجية الدراسة :

ستعتمد هذه الدراسة المنهج الوصفي (تحليل المحتوى)؛ وذلك من خلال جمع الصور الفنية للمكان في ديوان أحمد السقاف و تحليل تلك الصور التي وردت فيه وبيان أثر المكان فيها .

المصطلحات :

الصورة الفنية :اصطلاحا :

يقول عبد القاهر الجرجاني : الصورة الفنية " تشبيه الشيء بالشيء من جهة الصورة والشكل، أو جمع الصورة واللون " (1) .

ويقول سلطان: "الصورة الفنية تشكيل لغوي مكون من الألفاظ و المعاني العقلية والعاطفة والخيال" (2) .

ويقول الجهني الصورة الفنية تشكيل يتكون من مجموعة من العناصر، وهي تقاطع لمجموعة من العلاقات التعبيرية والفنية، وتعكس من خلال اتحاد عناصرها الذاتية والموضوعية، وتداخلها وتكاملها تصوّر فردٍ أو فئة أو مجموعة في فترة التعريف الإجرائي للصورة الفنية :

وسيعتمد الباحث التعريف الآتي : أنها المعاني التي انعكست على نفس الشاعر واثرت على المكان والبيئة وجعلتها تظهر لنا بهذه الصورة المؤثرة.

(1) أسرار البلاغة عند عبد القاهر الجرجاني 75

(2) الصورة المجازية في شعر المتنبي : 30

(3) الصورة الفنية في المفضليات أنماطها وموضوعها : 20

الدراسات السابقة:

تعد الصورة الفنية للمكان ذات جذور عريقة في النقد العربي من أهم قضايا الأدب العربي وهي تمثل مساحة واسعة في الشعر، و قد تعرض لها كثير من الباحثين بالدراسة و البحث ، وفيما يلي عرض لبعض الدراسات التي تمكن الباحث من الوصول إليها :

تناول **عصفور** ، (1992) الصورة الفنية ، في كتابه " الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي" ، وتأثرها بمصطلحات النقد الأدبي الغربي ، وأفادت الدراسة من الكتاب في التعرف على البيئات التي نشأت فيها الصورة الفنية .

تعرض الجرجاني ، (1991) ، في كتابه "أسرار البلاغة" إلى تعريف الصورة الفنية في مفهومها قديما ، إذ يعد الجرجاني أحد الذين اكتشفوا الصورة الفنية في عصره ، وأصل مفهوم البلاغة الشامل ، ووضع القواعد الصحيحة لها .

عرض السقاف ، (1989) ، قصائده في ديوانه التي تحدث فيها عن تجاربه والاتجاهات الفكرية التي مر بها ، والبلدان التي سميت بها القصائد وأثرها على الصورة الفنية .

عربية، (1998)، عرضت جوانب الاختلاف في الصورة الفنية بين المدارس الحديثة الإحيائية والرومانسية والمعاصرة ، وكذلك آراء الأدباء في الصورة الفنية للمكان بحسب المدارس الشعرية.

العتل ، (2006) ، طرق البيئات المختلفة و أثرها على الشعر وصناعة الصور الفنية ، وأبرز نقاط الالتقاء والاختلاف بين الصورة القديمة والحديثة وانعكاسها على المعاني التي طرقها الشعراء القدماء والمحدثون .

الجهني ، (2008) ، ذكر في كتابه "الصورة الفنية في المفضليات " الصورة الفنية بحسب حجمها واختلاف الأماكن في البيئة الواحدة وارتباطها بها

أما هذه الدراسة فستختلف عن الدراسات السابقة في بيان عدم ارتباط الصورة الفنية بالصورة الكلية للمكان، فكل شاعر تجربته الخاصة التي تنتج عنها آراؤه التي تتبع من الاتجاهات والأفكار النقدية التي تشكل صورة المكان في ذهن الشاعر وتؤثر على شعره وأفكاره.

المبحث الثاني :

* التمهيد

* أحمد محمد السقاف (1919م)

(تعريف عام)

• التمهيد :

للمكان دور كبير في حياة أي إنسان ، ولاريب في ذلك ، فهو الركن الأساس الذي يمارس فيه تكوينه الحياتي ، وبعد أن تتفتح مداركه يبدأ بتحديد أبعاده المكانية من خلال حياته العملية ، إلى أن ينتهي به المطاف إلى مكانه الأخير .

ومن هنا كان الإحساس بالمكان إحساسا فطريا ، ومتأصلا في النفس البشرية ، ويشترك في هذا الإحساس جميع الناس ، " فالمكان أكثر التصاقا بحياة الإنسان ، وإن إدراك الإنسان للمكان إدراك حسيّ ومباشر ، وهو يستمر مع الإنسان طوال سني عمره " (1) .

ولقد أدرك الإنسان البدائي بفطرته أهمية المكان ، وسر انجذابه إليه ، وتعلقه به ، فقد عاش في أماكن متعددة ومختلفة جعلته ينجذب نحو المكان ، ويظل متعلقا به ، إلا " أن موقف الحضارات القديمة في معالجتها للمكان كانت معالجة حسيّة موضعيّة ، إذ لا يستطيع الإنسان البدائي إدراك المكان إلا من خلال أشياء ملموسة وحسيّة ، فالتفكير الحسيّ للمكان هو السائد في تفكيرهم " (2) .

فالعلاقة بين الإنسان والمكان علاقة قديمة ، وراسخة في الذات البشرية ، " واستخدام الإنسان للمكان هو استخدام يومي ومستمر ، سواء بقصد العيش ، أو التواصل مع الآخرين ، هذا الاستخدام اليومي للمكان يُكسب المكان أهمية خاصة ، لأنه يؤدي دورا يسهم مع عناصر أخرى كالشخصية والبيئة الاجتماعية - الثقافية في تكوين السلوك الإنساني " (3) .

(1) خصوصية التشكيل الجمالي في أدب طه حسين : 49-50

(2) نظرية المكان في فلسفة ابن سينا : 17-18

(3) الزمن والمكان دراسة سيميائية : 49

وقد مثّل المكان عنصرا مهماً بل أساسيا من عناصر العمل الأدبي الذي يسعى بدوره إلى إبراز هويّة ذلك العمل من خلال التصاقه بشخص العمل الفني الذي لا يستطيع الاستغناء عنه بأي حال من الأحوال .

ويرتبط الإنسان ارتباطا إيجابيا بذلك المكان الذي غدا محورا أساسيا من محاور القضية الإنسانية التي تستمد من ذلك المكان مظاهر القوة والشجاعة ؛لأنه يمثل المأوى الوحيد لمستودع الذكريات الراسخة في ذهن الإنسان الذي أمضى شطرا كبيرا من عمره بين أحضانه فهو مهد الطفولة وذكرياتها ،وهو مسرح الشباب وعنفوانه ، ولذلك نجد شدة التصاق الإنسان في كل زمان بمكانه ،كما نرى الانتماء الشديد الذي تظهره النفس الإنسانية ، وتُكنّه لذلك المكان الذي أصبح مرآة الإنسان وهاجسه الذي يرواده في كلّ لحظة ، ويشغل تفكيره بين حين وآخر ،حتّى إن الشعراء والأدباء قد تسابقوا وتفننوا في وصف المكان ، وتجلياته أيا كان . ومنهم شاعرنا الكويتي أحمد محمد السقاف محور دراستنا .

مدخل

أحمد محمد السقاف (1919م)

(تعريف عام)

§ ولادته ونسبه :

ولد أحمد محمد زين السقاف عام (1919م)، في اليمن في مدينة حضرموت ، وكان من المؤسسين لدولة الكويت .

يرجع نسبه إلى أسرة السقاف الحضرمية المنتشرة في كثير من الأقطار العربية في الوطن العربي، في الكويت، السعودية، اليمن، العراق، ومصر. نشأ في ضاحية من ضواحي عدن تسمى بلدة "السادة" خاصة بآل السقاف، وكانت نشأته في كنف شيوخ لهم اطلاع واسع على العلوم الدينية⁽¹⁾.

§ دراسته وثقافته :

درس أحمد السقاف دراسة عربية ودينية، وحصل على إجازة في تدريس اللغة العربية من اليمن ، غير أنه صمّم على الدراسة الحديثة فاجتاز المرحلة الثانوية ، ووصل إلى كلية الحقوق ، وكان السقاف شغوفاً بالدراسات الأدبية ، مكبّاً على عيون

(1) أدباء وأدبيات الكويت : 18

الأدب العربي شعره ونثره قديمه وحديثه ،يطالعه ويحفظ منها الكثير ،فكان له من ذلك زاد ومدد مكنه من بلوغ منزلة تضعه في مصاف الأدياء ، والشعراء العرب المحدثين والمجددين الذين منحوا الأدب العربي شعره ونثره ، توهجا وتفاعلا صادقا مع قضايا الأمة العربية، السياسية والاجتماعية ، والثقافية ، وأصبح له رصيد يزداد كل يوم ثراء في ميدان الشعر والنثر⁽¹⁾.

§ رحلته مع العمل الوظيفي :

في مطلع عام 1944م عيّن مدرسا للغة العربية في المدرسة المباركية ، ثم انتقل إلى المدرسة الشرقية ، وعيّن ناظرا لها عام 1950م .

وفي عام 1956م انتقل إلى دائرة المطبوعات والنشر ، فأشرف على المطبعة الحكومية وعُني بتدريب عدد من الشباب الكويتي على أعمال الطباعة والنشر .

وفي عام 1962م ، عيّن وكيلا لوزارة الإرشاد والأنباء (الإعلام حاليا)⁽²⁾ .

وفي عام 1965 ،نقلت خدماته إلى الهيئة العامة للجنوب والخليج العربي بدرجة "سفير " وهي هيئة مستقلة مرتبطة بوزارة الخارجية الكويتية ،مهمتها إنشاء المدارس والمستشفيات والمستوصفات الطبية والكليات الجامعية في كل من شطري

(1) انظر : أحمد السقاف (نخبة من مقالاته ومقابلاته) : 10

(2) انظر : أدباء وأدبيات الكويت : 19

اليمن آنذاك ، والبحرين والإمارات العربية قبل أن تتوحد ، وفي جنوب السودان ،
إسهاما من دولة الكويت في إرساء قواعد النهضة الحديثة بهذه البلاد الشقيقة .

وفي عام 1990م ، تقاعد من العمل الحكومي بعد رحلة امتدت حوالي نصف قرن
ليتفرغ لأعماله الأدبية والفكرية⁽¹⁾ .

§ نشاطاته الثقافية والأدبية والفكرية :

كان السقاف مميزا بين أقرانه وأبناء جيله بنزعه الإصلاحية وغيرته على اللغة
العربية ، وحرصه على إحيائها ، وتجديد شبابها ، وله في الميدان آثار حميدة
ومشروعات رائدة ، فهو الذي أنشأ ندوة أدبية في منزله كانت تعقد كل خميس ثم
صارت تعقد بالتبادل في منزل أحد الفضلاء ، مما جعل لها صدى واسعا في محيط
المجتمع إلى أن توقفت عام (1946م) .

وفي عام (1948م) تبنى مشروعا ثقافيا وأدبيا جديدا ، إذ أصدر بالتعاون مع المرحوم
عبد الحميد الصانع مجلة (كاظمة) وهي أول مجلة تصدر وتطبع في الكويت ، وكانت
تعنى بالعلوم والفنون والاجتماع والشعر والقصص وعرض الكتب ، واستمر صدورها
تسعة أشهر ، ثم توقفت لأسباب خارجة عن إرادته⁽²⁾ .

(1) انظر : أحمد السقاف (نخبة من مقالاته ومقابلاته) : 11

(2) أدباء وأدبيات الكويت : 19

كما أنشأ مع رفاق له (النادي الثقافي القومي)، وتولى رئاسة مجلة (الإيمان) لسان حال النادي وهي مجلة شهرية ،إلى جانب مجلة (صدى الإيمان)الأسبوعية التي تولّى أيضا رئاسة تحريرها⁽¹⁾ .

ثم بعد ذلك نقل خدماته إلى دائرة المطبوعات والنشر عام (1956م) ،ووجد الفرصة أمامه سانحة لإنشاء مشروع ثقافي رائد ، وكانت الساحة العربية في حاجة إلى مثل هذا المشروع بعد توقف عدد من الإصدارات الثقافية العربية في مجلة (الرسالة) ، ومجلة (الثقافة)⁽²⁾ .

وفي عام (1957م) سافر إلى بعض الدول العربية بتكليف من سمو الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح للتعاقد مع من يقع عليه اختياره لإصدار مجلة ثقافية مميزة ، فقصده مصر لهذا الغرض وتعاقد مع الدكتور أحمد زكي الذي كان أول رئيس لمجلة (العربي) ،كما تعاقد مع مجموعة من الصحفيين والفنيين ذوي الكفاية والخبرة ،فَقَدِمُوا في مطلع(1958م) وصدرت مجلة العربي في أيلول من العام نفسه . وأصبحت مجلة العربي بما توافر لها من إمكانيات فنية وتقنية ،اللسان العربي الأوسع انتشارا في محيط الوطن العربي والمعبر عن ضمير الأمة العربية ، وساعد السقاف ذلك في نشر شعره دون قيود تمنعه من ذلك ومحاكاته لآلام الأمة العربية من خلال شعره⁽³⁾ .

(1) أحمد السقاف (نخبة من مقالاته ومقابلاته) : 11-13.

(2) أدباء وأدبيات الكويت : 20

(3) أحمد السقاف (نخبة من مقالاته ومقابلاته) : 13

§ مسيرته الثقافية ونتاجه الأدبي :

يعد السقاف واحدا من الرواد المبرزين في الساحة الثقافية العربية ، فقد أسهم بجهوده وإبداعاته في إحياء الثقافة العربية وتجديدها ، وإثراء الكثير من مجالاتها شعرا ونثرا ويعد من الصفوة التي دافعت عن اللغة العربية في وجه الحملة الظالمة التي تعرضت لها على يد نفر من دعاة التغريب والقوميات الضيقة ، وأنصار الشعوبية الحاقدة على العرب ، وعلى لغتهم الجميلة ، ومن أهم آثاره ومؤلفاته (1) :

Ⓔ شعر أحمد السقاف (ديوان) صدر عام 1989 م ، وهو موضوع دراستنا .

• ديوان شعر (نكبة الكويت) 1996 م .

Ⓕ الأوراق في شعراء الديارات النصرانية 1982 .

• أنا عائد من جنوب الجزيرة العربية 1985 م .

• تطور الوعي القومي في الكويت 1983 م .

' قطوف دانية - الجزء الأول - الطبعة الأولى 1995 .

' في العروبة والقومية .

" المقتضب في معرفة لغة العرب .

" سيف الغدر .

• الطرف في الملح والنوادر والأخبار والأشعار .

؛ أعلى القطوف (عشرون شاعرا عباسيا) .

(1) أفلام خليجية : 99

i من شعر أحمد السقاف .

i أحلى القطوف (عشرون شاعرا أمويا) .

i حكايات من الوطن العربي القديم .

§ مواقفه الوطنية والقومية والإنسانية :

تتجلى وطنية السقاف ، وموقفه القومي ، وإنسانيته الشفافة من خلال نتاجه الأدبي نثرا وشعرا وهو يصول ويجول بقلمه المبدع، وجرأته المعهودة، وانحيازه الواضح لقضايا الحق والعدل والجمال ، فقد تحرك في كل الدوائر الإنسانية ابتداء من دائرة الأسرة فدائرة الوطن ، فدائرة الخليج والوطن العربي ، فالدائرة الإنسانية الواسعة .

ففي رؤيته العربية الواضحة، يقول : العربي هو من اتخذ العربية لسانا ، واعتز بالثقافة العربية ، وأخلص لها ، واندمج في المجتمعات العربية ، سواء أكان في الأساس عربيا أم لم يكن . (1)

(1) أحمد السقاف (نخبة من مقالاته ومقابلاته) : 12-15

§ موقفه من قضية فلسطين :

موقفه من قضية فلسطين ، موقف المدافع الصلب عن الحق الفلسطيني ،
 والباحث المنقب في تاريخ اليهود قديما وحديثا ، وبيان زيف ادعاءاتهم فيقول :
 " أمّا ثورة فلسطين فقد احتلت قلوب العرب جميعا منذ اندلاعها عام (1936م) وكان
 الكويتيون يتسابقون في مساعدة هذه الثورة بالمال والسلاح ، وما زالت القضية
 الشغل الشاغل لجميع العرب والمسلمين " (1) .

وفيها يقول في شعره (2):

هي الشرفُ المطعونُ والهَمُّ والألمُ ينوحُ لها الوجدانُ والفكرُ والقلمُ
 بلادُ رسمناها على كُلِّ مهجةٍ ومن كلِّ قلبٍ نَفْتَدِي أرضها بدمٍ
 وفي كلِّ عينٍ غُضْبَةٌ يعربيةٌ تُزَلُّ في تصميمها الأرعنَ الأشمَ

ويقول أيضا في نكبة (1948) :

منذُ نِصْفِ القَرْنِ عَشْنَا نَكْبَةً ملؤها بؤسٌ وظلمٌ واغتصابٌ
 همُ فلسطينٍ وهمُ ضيَعَاتُهَا والسهولُ الخضرُ فيها والجبالُ

نجد السقاف في هذه الأبيات يخلص للقضية الفلسطينية ، فهو من الذين عاينوها وعانوها
 منذ تفجر أحداثها ، ولم يزل ثابتا على موقفه على الرغم من كل الظروف و التقلبات
 التي مرت بها القضية الفلسطينية .

(1) أحمد السقاف (نخبة من مقالاته ومقابلاته) : 11-16.

(2) ديوان شعر أحمد السقاف : 285-290.

§ شاعرية السقاف :

يُعد السقاف من شعراء الطبقة التالية زمنيا لشوقي وحافظ ومطران والشابي ، واتبع نهجهم ، وقد كانت نشاطاته العلمية من الاتساع والعمق بحيث وضعت في صفوف المصلحين الاجتماعيين وقادة التنوير ، وبناء النهضة العربية الحديثة .

وخلال جولة في ديوانه نستطيع أن نلمس بكل إعجاب شاعرية مبدعة ، تعيش عصرها وتأخذ من معين عربي صاف يحفظ للشعر العربي إيقاعه، وسبكه، ووزنه وقافيته، وأخيلته، وصفاء ديباجته .

E شاعريته مع أسرته :

فها هو السقاف يهدي ديوانه إلى أسرته على غير المألوف في دنيا الشعراء والكتّاب وفاء ، وحبًا ، وإخلاصًا ، إذ يقول⁽¹⁾ :

يا زَوْجَتِي يا أُمَّ أَحِبَّابِنَا حَمَاكَ رَبُّ الْكُونِ مِنْ كُلِّ عَيْنِ
كُنْتُ وَمَا زِلْتُ إِلَى جَانِبِي يا مَنْ سَكَنْتِ الْقَلْبَ وَالْمُقَلَّتَيْنِ

ويقول أيضا :

يابنِي الصِّغارِ بُوْرِكَ فِينُكُمْ أَنْتُمْ الْيَوْمَ مَنَارَةَ قَلْبِي
وَنَزَلْتُمْ فِي كُلِّ عَيْنٍ وَقَلْبٍ وَرَفَعْتُمْ الْيَوْمَ بِكُمْ رَأْسِي⁽²⁾

(1) ديوان شعر أحمد السقاف : 5

(2) المرجع السابق : 5-6

E شاعريته في رحاب الوطن :

وفي رحاب وطنه يتجاوب مع أحداثه بحسه الوطني المخلص الغيور ،حينما تعرض
موكب سمو أمير البلاد لاعتداء آثم ،وقد ألقى السقاف هذه القصيدة في التلفاز بتاريخ
1985/5/25 بعنوان (يهنيك) وفيها يقول⁽¹⁾ :

يُهْنِيكَ هَذَا الْحُبُّ جَابِرٌ يَا ابْنَ الْمَكَارِمِ وَالْمَقَاخِرِ
يُهْنِيكَ مَا تُبْدِي الْقَلْو ب وَمَا تَكْتُمُهُ الضَّمَائِرُ
يُهْنِيكَ يَابِطَ الْعُرُو بة كُلُّ مُسْتَتِرٍ وَظَاهِرُ

E شاعريته في ذكره لحبيته الكويت⁽²⁾ :

يقولُ ليَ الناسُ : ما اسمُ الحَبِيبَةِ لقد حَيَّرَ الفِكرُ هَذَا السُّؤَالَ
فَقُلْتُ : الحِكَايَةُ جَدًّا غَرِيبَةً فما من غُمُوضٍ وما من خِيَالٍ
أَعِيدُوا التَّأَمُّلَ فِي كُلِّ بَيْتٍ ففقالوا : عرفنا الكويت .. الكويت

نجد شاعرية السقاف في هذه الأبيات واضحة ،وجليّة ، وذلك من خلال إظهار الحب
والحنين لوطنه الذي نشأ فيه وترعرع ، ولم يبخل عليه بشيء ، فقال كيف أعشق وأحب
وأتعجب ممن يسألني مَنْ حبيبتك ! ، وهم يعلمون ذلك ، نعم إنها " الكويت " .

⁽¹⁾ ديوان شعر أحمد السقاف: 73

⁽²⁾ المرجع السابق : 96

§ من أقوال الأدباء والنقاد في شعره :

يقول الدكتور : خالد سعود الزيد عن أشعار السقاف : " السقاف شاعر محافظ على الوزن والقافية ، مصرُّ عليهما، ينهج إلى خطابية في ألفاظه ، ومنبرية في معانيه ، وهو اللغوي الفصيح والنحوي الحصيف ، ففي أشعاره جزالة القدماء ، ورصانة الأدباء المتقنين فلا يخرج بالألفاظ عن مألوفها ، ولا في معانيه عن موصوفها " (1).

ويصف الدكتور محمد حسن عبدالله أشعار السقاف فيقول : " تمضي أشعار السقاف في دائرتين متداخلتين تعيشان في انسجام مع ثقافته ، وتجربته الخاصة ، الدائرة الأولى هي القومية العربية التي تظهر عبر شعره في صور شتى ، فقد تكون موقفا سياسيا يؤازر قضية عربية ضد الغاصبين ، أو استنهاض همّة مصدوحة * ، كما قد تكون تمجيذا للتراث وحرصا عليه ، والدائرة الأخرى الدعوة إلى الإصلاح الاجتماعي ، وبخاصة في القطاعات المنسية من المجتمع " (2).

ويقول أيضا عن أسلوبه الشعري : " أسلوب السقاف أخذ من القدماء ما لا يجب التفريط فيه وما لا يستغني الأديب عنه ، الصحة اللغوية ، والدقة في التعبير عن الفكرة واستقامة الجمل وترابطها ، بحيث تأخذ القارئ على صفحاتها المناسبة من البداية حتى

(1) أدباء الكويت في قرنين : 265/2 .

* والصدُّحُ: شدة الصوت وجِدَّتَه والفعل كالفعل، والمصدر كالمصدر. والصدُّوحُ والصدِّداحُ: الشديد الصوت ، لسان العرب ، مادة صدح .

(2) الحركة الأدبية والفكرية في الكويت : 383.

تسلمه إلى النهاية، كما أخذ من أساليب المحدثين ، أطيب ما عندهم ،فهو بعيد عن التعقيد ،والتغني بالإغراب وشطحات الفكر أو الخيال،ملتزم بوحدة الموضوع " (1).

ويقول الدكتور حافظ محفوظ عن الموقع الصحيح لمكانة شعر أحمد السقاف: " إن الوتر القومي هو أقوى الأوتار رنيناً في قيثاره الشعر عند أحمد السقاف ،ولا يعني هذا أي تراجع في الحسّ الوطني ،وقصائده القومية ،التي أقيت في عواصم مختلفة من هذا العالم العربي،تعبّر عن رؤية وطنية كويتية للقضية القومية - إن صح التعبير -فضلاً عن قصائد مباشرة عبرت عن الحسّ الوطني عنده " (2).

§ مميزات شعر السقاف :

يمتاز ديوان شعر السقاف بطابع فني ونفسي متميّز ،فهو يستخدم فيه التراكيب العربية القديمة والحديثة في التعبير ، ويلتزم بقواعد محكمة لبناء القصيدة وخصائصها

تغنّى للوطن والحرية ،وتغنى بالعروبة ونهضة العرب والقومية العربية، دافع عنها بصلاب ، وتعب من أجلها حتى اليوم المشؤوم، يوم الثاني من أغسطس 1990م، حين قلبت الموازين، فأصبحت قصائده بعد كارثة الاحتلال قصائد حزينة مخضبة بالدماء العربية ، مفجعة لهول ما حدث أمامه ، وهو العربي الملتزم بقضايا وطنه وأمته ،أيضا أصبحت قصائده تحتوي على مفردات جديدة تتناسب مع المتغيرات

(1) الحركة الأدبية والفكرية في الكويت: 385.

(2) أقلام خليجية : 60

الحديثة ، لكنها لا تخلو من التفاؤل وبت روح الثقة بالأمة العربية من جديد في نفوس المواطنين. يضم ديوان (شعر أحمد السقاف) مجموعة من القصائد الوطنية والوصفية والوجدانية ، كتبها على مدى خمسة وأربعين عاما ، ملقفا مع الهموم العربية في أرجاء الوطن العربي ، فقد تغنى بالأرض والحرية والنضال والعروبة والإنسان والتاريخ .

فوجد معظم القصائد الوطنية والوصفية في ديوان (شعر أحمد السقاف) مقررة في مناهج وزارات التربية والتعليم في الأقطار العربية ، مثل : مصر وليبيا والجزائر والأردن ، إلى جانب الخليج والجزيرة العربية.

فالشاعر أحمد السقاف قال الشعر في : النسب والغزل، وفي الرثاء ، والوطن ، والعروبة والحرية ، والحياة ، يقول في الهجر قصيدة بعنوان (نداء القلب)⁽¹⁾:

أحبُّكَ لَكَنِّي مُوجِّعٌ فَهَلْ أَنْتَ يَا هَاجِرِي تَسْمَعُ
صَدَدَتِ فَأَدْمِيَتَ مَنِّي الْفُؤَا د،وَلَمْ تَهْدَأِ النَّفْسَ وَالْأَضْغُ
وَلَمْ أَرَبْعَدَكَ مَا يَسْتَطَابُ وَلَمْ أَرَبْعَدَكَ مَا يَنْفَعُ

أمّا في محنة الوطن كان الشاعر أحمد السقاف كبقية شعراء الكويت الذين أيقظوا العالم على صرخات الوطن بقصائدهم النضالية ، (قصائد الرفض والاحتجاج) التي تصدّت للطغاة الطامعين في البلاد إذ كانت مثل القصائد تحث الناس على المقاومة

(1) ديوان أحمد السقاف : 348

والتحدي والصمود والعصيان ، وتمجيد الشهداء الأبرار الذين ضحوا بدمائهم الزكية
الطاهرة ثمنا لحرية الوطن وعزته ، فالشهادة والوطن رفيقان .

إن الوطن دائما يصبح عزيزا بأبنائه كبيرا بقلوبهم ، وعظيما بتطلعاتهم ، ومتينا
باتحاد سواعدهم ، يقول في هذا المعنى عن شهيدات الكويت⁽¹⁾:

الرفضُ والإقدامُ والإصرارُ	شَرَحْتَ مَعَانِيهَا لَنَا أَسْرَارُ
شَرَحْتَ مَعَانِيهَا بِبَدَلِ دِمَائِهَا	وَعَلَى الدَّمَاءِ تُحَرَّرُ الأَقْطَارُ
وَقَفْتَ بِوَجْهِ المُعْتَدِينَ بِطَوْلَةٍ	شَمَاءَ حَارٍ لِبَاسِهَا الجَزَارُ

ويقول في (في ذكرى التحرير) يتغنى بالنصر المبين ، ويتحدث عن نكبة الاحتلال
ومن أزر نكبة الغدر ، ثم يبحث على التضامن ووحدة الصف ، والإشادة بمواقف
الخليج والجزيرة العربية ومصر والشام⁽²⁾:

يا عَرُوسَ الخَلِيجِ كُنْتِ وَمَا زِلِ	تِ مَزِيحاً مِنْ فِتْنَةٍ وَشَبَابِ
صَيِّئِكَ الضَّخْمِ فِي العَوَالِمِ يَدَوِي	وَدَعَاوِي الغُرَاةِ تَحْتَ التَّرَابِ
النَّعِيبُ الَّذِي يُرَدِّدُ سُخْفُ	لَا يُخِيفُ الوَرَى نَعِيبِ الغَرَابِ

(1) انظر : ديوان أحمد السقاف: 99-106

(2) ديوان أحمد السقاف: 280

§ وفاته :

توفي شاعر الكويت أحمد محمد السقاف، في (16 - آب - 2010 م) عن عمر يناهز (91 سنة) ، قضاه فارساً في ميدان الأدب والشعر، ودبلوماسياً محنكاً وقائداً للتوير، وممثلاً لبلاده في مننديات عربية وعالمية عديدة.

وها هو الفارس يترجل، بعد أن أتم مهمته واطمأن على غرسه لينام في أمن و سلام.

لو أمكن للمتأمل أن يختزل في بضع كلمات شخصيةً ثرية، قامة باسقة كشخصية أحمد السقاف، لقلنا إنه خلاصة لموهبة الحضور، ويقظة الوجدان، والتحفز للتعامل مع قضايا عصره بوعي وشجاعة نادرتين، مع استعداد مطلق للجهاد في سبيل ما يعتقد. وما كان لهذه السمات الشخصية أن تتألق لو لم يكن الرجل ابناً لمرحلة متغيرات وتحديات ثقافية وفكرية في مجتمع كان يستعد حينذاك (مطالع الخمسينيات) لدخول معترك اجتماعي وسياسي واقتصادي جديد.

الفصل الثاني

ويشمل مبحثين

المبحث الأول

تعريف

تعريف المكان

المبحث الثاني

صورة المكان في شعره

• تمهيد :

أجمع دارسو الأدب على أهمية المكان في العمل الأدبي ، وتوقفوا عند دلالاته الكثيرة وجمالياته المتنوعة ، وذهبوا إلى أن للمكان "عميق الأثر في الحياة البشرية ، إذ ما من حركة إلا وهي مقترنة به ، وما من فعل إلا وهو مستوح لبعض دوافعه منه ، وهو أعمق وأكبر ، وأهم من أن ينحصر في ما يمثله من ظرف أو وعاء ، وأن يقتصر فيه على البين الناتئ من مستوياته ، لأن كل مناحي الحياة ومستوياتها ، وقطاعاتها ، بل وكل مناحي النفس أيضا تشهد على حضوره الكثيف ، وتعدد مظاهره ، وتفصح عن أثره ، وتدفع إلى الإقرار بأنه جزء لا يتجزأ من كل الموجودات وكل وجوه حركتها وسلوكها ولعله ما من قرين للتجربة البشرية مثله ، فهو عمادها ومطرحها ، وهو مغذيها ، وهو مصبها ومنطلقها ، وهو ترجمتها أيضا" (1) .

وهذه العلاقة بين الإنسان والمكان تبدأ منذ أن " يكون الإنسان نطفة ، يأوي إلى المكان الأول وهو رحم الأم ، وهناك يمارس تكوينه الجسدي والحياتي ، حتى إذا حان المخاض ، خرج هذا الجنين يشم أول نسمة للوجود الخارجي ، وكان المهد هو المكان الذي تتفتح فيه مداركه ، وتنمو فيه حواسه من سمع وبصر وشم ، وتذوق ، ولمس .

وبعده - أي بعد المهد ، تظهر الأبعاد المكانية للإنسان بصور أوضح في البيت والمدرسة والنادي... سواء في القرية ، أو في المدينة ، أو في الصحراء ، بل في البر والبحر والجو وفي أحياز مكانية لا حصر لها " (2) .

(1) المكان في الشعر العربي : 7

(2) جماليات المكان : 5

وإذا كان المكان بهذه الأهمية في صياغة الكائن ،حيث تتجلى هذه الصياغة المكانية في التجربة اليومية على صعيد اللغة والسلوك ،فإن الامر يفترض مقارنته على أكثر من صعيد .

ونتيجة لهذه الأهمية التي يُحظى بها المكان ، كان لا بدّ من توضيح مفهوم المكان لغة واصطلاحاً وفلسفياً وفيزيائياً .

§ المكان لغة :

هو الموضع ،والجمع أمكنة ، وأماكن ، توهموا الميم أصلاً حتى قالوا : تمكّن في المكان وهذا كما قالوا في تكسير المسيل أمسلة ، وقيل : الميم في المكان أصل كأنه من التمكّن دون الكون ،وهذا ما يقويّه ما ذكرناه من تكسير على (أفعلّة) ،وقد حكى سيبويه في جمعه (أمكن) ، وهذا زائد في الدلالة على أنّ وزن الكلمة (فَعَال)دون (مَفْعَل) ، إلا أن يكون مؤنثاً كأثن و آتن " (1) .

فابن منظور أوردها تحت الجذر (كَوْن) ، لكنه أعاد الحديث عنها تحت الجذر (مَكْن) ، فقال : " المكان : الموضع ،والجمع أمكنة كَقَذَال ،وَأَقْذِلَة ، وأماكن جمع الجمع ، قال ثعلب : يبطل أن يكون مكان (فَعَالاً) ، لأنّ العرب تقول : كُنْ مَكَانَكَ وَقُمْ مَكَانَكَ ، واقعد مَقْعَدَكَ ،فقد دلّ هذا على أنه مصدر من كان ، أو موضع منه ، قال : وإنما جُمِعَ (أَمَكِنَة) فعاملوا الميم الزائدة معاملة الأصلية ، لأنّ العرب تشبه

(1) ومن الذين توهموا : سيبويه ، وابن سيده ، لسان العرب : مادة كون.

الحرف بالحرف ، كما قالوا : منارة ومناير ، فشبهوها (بِفعالَة) من النور ، وكان جمعه (مَنَاورِ) (1) .

فابن منظور يؤكد من خلاله تعريفه للمكان ، وذكره للمكان تحت الجذرين (كَوَنَ) و(مَكَنَ) أن المكان مشتق من الجذر (كوَنَ) ، مخالفًا بذلك ما ذهب إليه سيبويه ، ومدللاً على ذلك بأقوال العرب ، وهذا أيضاً ما ذهب إليه علماء اللغة ، فالزبيديّ استشهد بقول الليث : " المكان اشتقاقه من كان يكون ، ولكنه لما كثر من الكلام صارت الميم كأنها أصلية " (2) .

ووافقهما الأزهريّ ، ودلّل على صحة هذا الأصل " بأن العرب لا تقول هو منّي مكان كذا وكذا بالنصب " (3) .

إلا أنّ هذا الدليل الذي أورده الأزهري فيه خلاف لقول سيبويه : " ذلك قول العرب سمعناه منهم : هو منّي منزل الشّغاف ، هو منّي منزلة الولد ، ويدلّل على أنّه ظرف قولك : هو منّي بمنزلة الولد ، فإنما أردت أن تجعله في ذلك الموضع ، فصار كقولك : منزلي مكان كذا كذا ، وهو منّي مزجر الكلب ، وأنت منّي مقعد القابلة ، وذلك إذا دنا فلزق بك من بين يديك " (4) .

(1) لسان العرب : مادة مكن .

(2) تاج العروس : مادة مكن .

(3) الأزهري : 311/1

(4) سيبويه : 412/1-413 .

لقد بيّن سيبويه أن يُمنع أن يُقاس على ما استعملوه ظروفًا من الأماكن ، مثل :
 مربط الفرس ، إلا أن تظهر كلمة (مكان) فنقول : هو منّي مكان مقعد القابلة ، وهو
 منّي مكان مربط الفرس ، فيجوز ذلك .

وعرفه المعجم الوسيط : "المكان جمع أماكن وأمكنة ، وأمكن : موضع كون الشيء
 والمكانة جمع مكان ، الموضع ، والمنزلة ، يقال : مكين فيه ، أي موجود فيه" (1) .
 ومن خلال تلك التعريفات يتضح ، أن للمكان (لغويًا) معنى غير محدد ، يحمل
 احتمالات كثيرة ، إضافة إلى أن المكان يحمل في مضمونه معنى الوجود ، والحياة
 والكينونة ، فلا تتم الحياة إلا في مكان يأخذ منها ، ويعطيها ، لأن أصل مادته
 "ك و ن " التي تعني "الحدث" .

ويبدو أن المكان ستنتسج دلالاته اللغوية ليشتمل على دلالة أكبر في نظر الفلاسفة ،
 وبالتحديد حين ينخرط مفهوم المكان في عدة حقول أدبية وفلسفية وإجتماعية ،
 وغيرها من حقول تساعد في صقل مفهوم المكان بفلسفتها الخاصة .

فليس هناك أدنى شك أن المكان قد شغل بال الكثيرين من الفلاسفة والمهتمين الذين أدلوا
 بآرائهم المتعددة وفي طبيعة المكان وتشعباته ، حيث نلمس من تعدد آرائهم التي عززت
 أهمية المكان وجود تباين في نظرتهم له ، وهذا التباين في تعريفاتهم نابع من اتساع
 دلالة المصطلح ، وعدم محدوديته ويظهر لنا من خلال ما يأتي .

(1) المعجم الوسيط : مادة كون .

§ المكان فلسفياً :

عرّف أفلاطون المكان بقوله : " هو الحاوي والقابل للأشياء " (1) . إذ عدّ هذا التعريف الاصطلاحي للمكان حجر الأساس ، واللبنة الأولى في تحديد ماهية المكان .

" ويعلق حسن العبيدي على تعريف أفلاطون السابق قائلاً : "ونجد أنّ أوّل استعمال اصطلاحى للمكان فلسفياً ، قد صرح به أفلاطون ، إذ عدّه حاوياً وقابلاً للشيء " (2) . ثم جاء أرسطو الذي " بحث في المكان بحثاً مفصلاً ، بين أنه موجود ، بدليل أنه حين يوجد جسم ، يمكن أن ينتقل عنه ، ويشغل محله جسم آخر ، ومعنى هذا أن المكان يختلف عن أي شيء يتحيز فيه " (3) .

وقال أيضاً : " إن المكان هو السطح الباطن المماس للجسم المحوي ، وهو على نوعين : خاص ، فلكل جسم مكان يشغله ، ومشارك يوجد فيه جسمان أو أكثر " (4) . نجد أن أرسطو في هذا التعريف أخذ بتعريف أفلاطون وتوسع فيه بشكل قليل غير مغل بالتعريف .

أمّا الفلاسفة الإسلاميون ، فقد عرفوا المكان ، فيعرفه الكندي بأنه : " السطح الباطن للجسم الحاوي المماس للسطح الظاهر للجسم المحوي " (5) .

(1) مدخل جديد إلى الفلسفة : 196

(2) نظرية المكان في فلسفة ابن سينا : 19 .

(3) موسوعة الفلسفة : 461/2

(4) قضايا الفلسفة العامة ومباحثها : 228 .

(5) موسوعة الفلسفة : 462/2

أما الفارابي فهو يتبع ما قاله الكندي، ويتخذ من تعريف أرسطو السابق المظلة الي سيستظل بها ، فهو بداية لا ينكر وجود المكان، بل يقرّ بوجوده ومن أجل ذلك فهو يؤكد على أن المكان موجود وبيّن ، ولا يمكن إنكاره ، إذ العلاقة بين المكان والتمكن هي علاقة إضافة ونسبة⁽¹⁾ .

وقد عرف ابن سينا المكان ، تعريفا واضحا ، مظهرا ماهيته ، فقال : "هو السطح المساوي لسطح المتمكن، هو ما يكون الشيء مستقرا عليه ، أو معتمدا عليه ، أو مستندا إليه " ⁽²⁾ .

ويعرفه أيضا في كتابه "الشفاء" : "بأنه السطح الذي هو نهاية الجسم الحاوي لا غيره"⁽³⁾ نجد من خلال تعريف ابن سينا السابق أن الحد المشترك في هذين التعريفين هو السطح وكذلك الجسم ، والعلاقة بينهما ، ولذلك فسواء أكان المكان حاويا للشيء أم محيطا بالجسم أم أن الجسم مستقر عليه ، فكل هذه التعريفات عن المكان حسية ، مرتبطة بوجود أشياء محسوسة ، أي هي متممة بالحسية التي هي (سمة الصور الذهنية للمكان لدى الإنسان البدائي ، وهي صور مظاهر محسوسة ، تشير إلى أماكن أو مواقع لها خصائص عاطفية)⁽⁴⁾ .

(1) نظرية المكان في فلسفة ابن سينا : 33

(2) المكان ظاهرة : 12

(3) الشفاء (الطبيعيات) : 137

(4) نظرية المكان في فلسفة ابن سينا : 17 ، الزمان في الفكر الديني والفلسفي القديم : 40

والمكان عند المتكلمين هو الفراغ المتوهم ، الذي يشغله الجسم ، وينفذ فيه ابعاده ويرادفه الحيز " (1) .

وهو عند المحدثين " وسط مثالي غير متداخل الأجزاء ، حاوٍ للأجسام المستقرة فيه محيط بكل امتداد متناه ، وهو متجانس الأقسام ، متشابه الخواص في جميع الجهات ، متصل وغير محدود " (2) .

لقد تباين مفهوم المكان من عصر لآخر ، ومن فيلسوف لآخر ، وكذلك من معجم لآخر ، غير أنّ الذي يلفت الانتباه أن مفهوم المكان أثار حفيظة الفلاسفة ، وأغراهم بتعريفه لما له من أهمية كبيرة يتوقف عليها وجود الإنسان على هذه الأرض .

§ المكان فيزيائياً :

إنّ المعنى الفيزيائي لكلمة مكان ، يكاد يكون مطابقاً لمدلول كلمة الطول ، أو المسافة بين نقطتين ، وهو مقدار تعود شتى عمليات قياس كمياته في أعماقها إلى استعمال المسطرة ، سواء في الفيزياء التقليدية ، أو المدلول الفيزيائي الحديث ، فقد شاع لدى الصحافة والعامّة خصوصاً استعمال كلمة "الفضاء" كقولهم "الفضاء الكوني" و"سفن الفضاء" ، ويميل أكثر العلميين في الغرب اليوم ، وكذلك يميل الفيزيائيون ، والرياضيون التطبيقيون منهم خصوصاً إلى استخدام كلمة الفضاء بدلا من كلمة المكان حتى في المعنى الفلسفي المذكور أعلاه ، وربما كانوا يهدفون من وراء ذلك عن وعي أو عن غير وعي ، إلى التخلص من الاختلاط الذي يمكن أن يجلبه المفهوم الشائع لكلمة مكان إلى مفهومها الفلسفي أو الفيزيائي " (3) .

(1) المكان ظاهرة : 12 .

(2) كتاب التعريفات : 256 .

(3) المكان والزمان في العالم الكوني الحديث : (المقدمة) .

§ المكان المطلق والمكان النسبي :

فرق الباحثون بين المكان المطلق والمكان النسبي ، فالمكان المطلق ، ثابت لا يتغير مثل الجبال والأودية ، والسهول ، وغيرها من مجريات الطبيعة .
وقد عرفه نيوتن قائلاً : " المكان المطلق في طبيعته الخاصة به ، يبقى دائماً مشابهاً لنفسه وثابتاً غير متحرك " (1) .

أمّا بالنسبة للمكان النسبي :فهو عبارة عن بعد متحرك ، أو واسطة للأماكن المطلقة التي تحددها حواسنا بواسطة وضعها بالنسبة إلى الأجسام ، يكون مكانها متقللاً أحياناً ، وثابتاً أحياناً . " (2) .

يعني أن مكاناً ثانياً متحركاً ، وغير متحرك ، فكثير من الشعراء من استخدم المكان المطلق في شعرهم ، فالشعراء القدماء استخدموا المكان المطلق في وصف حياتهم كالوقوف على الأطلال ، ووصف الأنهار والينابيع ، ووصف البرك ، وتطرقوا أيضاً في شعرهم إلى المكان النسبي من خلال وصف الزهور ، والطيور ، والإبل ، وباقي المخلوقات النباتية والحيوانية التي تعيش على سطح الأرض .

أمّا شعراء العصر الحديث ، فقد وظّفوا المكان المطلق و المكان النسبي في شعرهم بذكرهم للأوطان والظروف التي تحلّ في واقعهم من أحزان وأفراح ، وحروب ومصاعب ، وتشرّد وتمرد ، وغيرها من تشعبات الحياة بكل أنواعها (3) .

(1) موسوعة الفلسفة : 462.

(2) المرجع السابق : 463

(3) الزمن والمكان (نظرية ، وتطبيق) : 155

§ الموضع والحيز :

شاع في العصر الحديث ، استخدام مصطلحات بديلة لمصطلح المكان ، مثل (الموضع والحيز) ، وهما الأكثر استخداما في الأدب ، والنقد .

ولكن ظلّ هذا الاستخدام محدودا بالنسبة إلى مصطلح (المكان) ، وربما يعود سبب انتشار هذه المصطلحات ، إلى الترجمة من اللغات الأخرى ، إضافة إلى وجود اقتراب وتقارب أو تشابه في المعنى .

فقد تُأرجح مفهوم المكان عند القدامى بين الموضع والحيز ، وتبنّى هذا المفهوم المحدثون . وعندما تناول الدارسون المكان من حيث إنه حيز ، رأوا أنّ مفهومه لا يكتمل إلا من خلال ارتباطه ارتباطا جوهريا بعمليات التفاعل ، وذلك لأن المكان هو الفسحة ، الحيز الذي يحتضن عمليات التفاعل بين الأنا والعالم ، من خلاله نتكلم ، وعبره نرى العالم ، ونحكم على الآخر " (1) .

فهذا الحيز يحوي العديد من عمليات التفاعل بين الشخص ، ومحيطه في هذا العالم . فالحيز في اللغة : " بمعنى الجمع ، ومنه حوز الدار وحيزها ، ما انضم إليها من المرافق ، والمنافع ، وكلّ ناحية على حدة حيز " (2) .

والحيز هو الموضع : إذا أقيم حوالية سد أو حاجز ، وحوز الدار : ما انضم إليه من المرافق والمنافع " (3) .

(1) شعرية المكان في الرواية الحديثة : 60

(2) لسان العرب : مادة حوز .

(3) المنجد في الآداب والعلوم واللغة : مادة حوز .

ولا فرق بين الموضع والحيّز ، فالمعنى اللغوي يشير إلى أن الحيّز يدل على مساحة محدودة ، والموضع كذلك ، وكأنهما جزء من كل ، الذي هو المكان بمعناه الواسع . ومن الباحثين من فرق بين الحيّز والموضع ، فالحيّز هو " الفراغ المتوهم الذي لو لم يشغله المكان لكان خلاء ، أمّا الموضع فهو ما يعتمد عليه التمكن كالتسريع" (1) .

ووفقا لهذا التعريف نجد أن الحيّز والموضع أعم وأشمل من المكان ، إذن هناك اضطراب في تحديد مفهوم الحيّز ، ومحاولة توضيحه عن طريق ربطه بمفهوم المكان لذلك فإن استعمال كلمة " مكان " أقوى في الدلالة من استعمال كلمة " حيّز " .

(1) المعجم الفلسفي : 106 .

§ المكان والهوية :

إن المكان بشكله وملامحه المادية والمعنوية يعطي طابعا للهوية الذاتية القومية والحضارية ، ويشكل كيانا مستقلا للإنسان .

ولهذا فإننا نجد المكان بلامحه المادية ، وشكل أبنيته طابع الرمز الدال على هوية حضارية أو قومية محددة ، ولهذا كان حرص الإنسان على مكانه حرصا في ذات الوقت على هويته وكيانه . وفي ذلك يقول الدكتور ياسين النصير: "فالمكان دون سواء يثير إحساسا ما بالمواطنة وإحساسا آخر بالزمن والمحلية ، حتى لتحسبه الكيان الذي لا يحدث شيء بدونه " (1) .

فالمكان هو الحدث الرئيس والبؤرة الوحيدة التي يتنفس من خلاله الشعراء فهوية الشاعر مرتبطة بمكانه ، لذا فإن ارتباط الإنسان بالمكان بائن وواضح في كل المجتمعات .

فالإنسان يقبع في بوتقة المكان ، وتشكل الأماكن المحيطة به هاجسا له ، وهويته هي التي تحدد مكانه الذي يثيره بالتحديد ، بل أصبحت جزءا من حياته (2) .

ولا يمكن الاستغناء عنها أو تجاهلها ، حتى أن الأديب يبحث في المكان حتى يبرز الهوية الثقافية لديه ، لأن المحيط البيئي في المكان يمثل ملامح الخصوصية التي تشكل لهويته الثقافية (3) .

(1) الرواية والمكان : 5

(2) شعرية المكان في الرواية العربية : 70-73

(3) إشكالية المكان في النص الأدبي : 55

فعلاقة الإنسان بالمكان علاقة متجذرة ، وارتباطه به على هذه الشاكلة نابع من عدّه مواطننا وهويّة .

§ جدلية المكان والزمان :

كثرت الدراسات الأدبية والنقدية التي تستقرئ بالمكان أو الزمان أو بكليهما معاً ؛ النصّ الأدبيّ ، واستجلاء مرامي أدبيته، والحق أن هذه الدراسات - مع كثرتها - مازال بعضها يستكشف في النص ما يضاف إلى أبعاده الجمالية والحضارية والثقافية جميعها؛ من حيث بكاره الرؤى.

وقد شغلت الحقيقة المكانية والزمانية فكر الفلاسفة قبل أن تشغل الدرس الأدبي ، ومن الفلسفة - في تراسل بين العلوم - انتقلت إلى الفكر الأدبي، فصمويل ألكسندر (1895-1938) الملقب بفيلسوف "المكان والزمان والألوهية" ؛ يقيم مذهبه في الفلسفة الواقعية المحدثة على هذه الحقيقة " فالحقيقة القصوى التي تتولد عنها سائر الأشياء هي الحقيقة الزمانية المكانية والحق أنه إذا كان في الإمكان التفرقة بين المكان والزمان فما ذلك إلا بطريقة أولية قبلية سابقة على التجربة، وأما الواقع العيني نفسه فإنه يشهد بأنه لا انفصال للزمان عن المكان أو للمكان عن الزمان." (1)

ولقد تداخلت علاقات المكان والزمان في جدلية لا تنتهي من التأثير والتأثير ، فكلاهما وجه للكون ، وبهما يكتمل ، ويؤثر الزمان في المكان تأثيراً واضحاً ، بحيث يفرض

(1) دراسات في الفلسفة المعاصرة : 155

قوته وجبروته عليه؛ لأن المكان غالباً ما يقع ضحية للزمان ، كما أن أثر الزمان في عصور مختلفة قد يدمر المكان ، وقد يؤدي إلى تغييرات ربّما تكون جذرية فيه (1).

فالإنسان يتأثر بالزمان والمكان؛ لأنه يعيش في كليهما فهو كائن زمني أكثر من كونه كائناً مكانياً، صحيح أن الإنسان يعيش على رقعة محددة من المكان، إلا أنه يعيش في الزمان أكثر من المكان (2).

فالدكتور حسني محمود يرى " أن تجسيد المكان يختلف عن تجسيد الزمن، إذ إن المكان يمثل الخلفية التي تقع فيها الأحداث ، أما الزمن فيتمثل في هذه الأحداث نفسها وتطورها(3) وإذا كان الزمن يمثل الخط الذي تسير عليه الأحداث فإن المكان يظهر على هذا الخط ويصاحبه ويحتويه ، فالمكان هو الإطار الذي تقع فيه الأحداث" (3).

ومن خلال هذا القول فقد أبعد الدكتور حسني ، أي جدلية بين المكان والزمان ، وعدّهما مكملين لبعضهما بعضاً .

وعن طبيعة إدراك كلٍّ من الزمان والمكان يضيف حسني محمود قائلاً: وهناك اختلاف بين طبيعة إدراك الزمن وطبيعة إدراك المكان ، إذ إن الزمن يرتبط بالإدراك النفسي ، أما المكان فيرتبط بالإدراك الحسيّ ، ومن هذا المنطلق نرى أن المكان ليس

(1) الزمان والمكان وعلاقتهما في الشعر الحديث : 24

(2) جدلية الزمان والمكان في روايات عبد الرحمن منيف : 56

(3) " بناء المكان في سداسية الأيام الستة لأميل حبيبي " - حسني محمود - مجلة " علامات في النقد " - النادي الأدبي بجدة - مج 10 - ع 34 - شعبان 1420 هـ : 195

حقيقة مجردة ؛ وإنما هو يظهر من خلال الأشياء التي تشغل الفراغ أو الحيز. وأسلوب تقديم الأشياء و الوصف ، بينما يرتبط الزمن بالأفعال (الأحداث) " (1) .

والحق أن مسألة جدلية الزمان في الإدراك النفسي ، والمكان في الإدراك الحسي مسألة تحتاج إلى مراجعة ، لأن اجتماعهما معاً في العمل الأدبي مهما كان جنسه ؛ يمكن أن يُدركاً به نفسياً وحسبياً ؛ من خلال استبطان البعدين الجمالي والنفسي معاً .

فنجد أن المكان مكمل للزمن والعكس صحيح ، فلا يمكن أن نفرق المكان عن الزمن - مهما حصل - فارتباط المكان بالزمن ارتباط حسي ، وجمالي ، ونفسي .

(1) " بناء المكان في سداسية الأيام الستة لأميل حبيبي " - حسني محمود - مجلة " علامات في النقد " - النادي الأدبي بجدة - مج 10 - ع 34 - شعبان 1420هـ : 195 .

• شعرية المكان :

إن شعرية المكان ،تكون رمزية دلالية ، لا تحتمل أحداثا تجري ،ولا شخصا تتحرك بل هو رمز يحتضر أحداثا ، وأزمانا ، وأساطير ، وأفكارا ،فالشاعر يجسد المكان بواسطة الصورة ، واللغة ، والإيقاع ، كما إن المكانية تخلق جمالياتها في القصيدة من خلال التفاعل الشديد والمعدّد بينها وبين فلسفة العصر ورؤيا الإنسان ،لا سيما إذا عرفنا أن الشحنة الجمالية للصورة الفنية اليوم لا تكون مقبولة ، إلا إذا حملت تواريخ عديدة : خفية ومعلّمة ،آتية إلينا عبر فعل المخيلة النشط (1).

ومن الإستراتيجيات المتّبعة في تجسيد المكان الشعري ما يتمثل في " أن المكان الشعري يعيد تشكيل صورة مكان الألفة ،ويزيد من سطوعها وتعميقها في نفسية الشاعر " (2).

فالصورة الفنية للمكان بينت هنا تجسيد الشاعر للمكان ، فالمكان المتخيل هو جغرافيا الذاكرة والمخيلة ،وهو يختلف عن المكان الطبيعي ، لأن فيه الانتقال والخيال ، فالمكان الفني ينفصل عن المكان الطبيعي ، لأن الفنية تعتمد على آليات ذهنية ، ربما تكون غير موجودة على أرض الواقع ، إذ تلتزم عددا من الآليات والخامات لإنجاز عمل فنيّ معيّن فالتعامل مع المكان الطبيعي تعاملًا خياليا ذهنيا يكسب المكان أبعادا فنيّة (3).

(1) انظر : الزمن والمكان في الشعر الجاهلي (دراسة تطبيقية) : 55-58

(2) المرجع السابق : 60

(3) شعرية المكان في رواية البحر : 12

فالمكان في الشعر احتلّ حيّزا في قصائدنا لأن المكان الشعري ، " يعيد خلق صورة مكان الألفة ، ويزيد من سطوعها ، وتعميقها حدّ انفصال مكان الشاعر نفسه عن مكان القصيدة الشعرية " (1).

فالشاعر عند توظيف المكان يربطه بالحدث والزمن حتى يحافظ على صلته بالواقع " فإن الشاعر المتأمل يستطيع أن يكشف الصلة بينه وبين واقعه من خلال ارتباط الاثنين بمفهوم التقدم والتطور والحركة ، لذا فالمكان سوف يرفض أية تصورات لا تربطه بالحركة والزمن " (2).

ويستمر الشاعر أثناء رسم المكان في نقل المشاعر والانفعالات حتى يضيف عليه الحركة ، والنشاط الإنساني ، ليظل المكان مفعما بالحيوية .
فتكامل اللوحة عند الشاعر بإبراز العواطف ، وسلوكيات الإنسان المختلفة داخل النفس البشرية حتى يظلّ مكانا نابضا بالحيوية والفنية .

(1) المكان في النص الشعري : 120

(2) إشكالية المكان في النص الأدبي : 19

أهمية المكان في العمل الفني :

مما يؤكد أهمية المكان في العمل الفني ، كيفية تصوير العمل الفني لمكان الألفة فهو يرمي إلى إعادة خلق الواقع وتشكيله من جديد : " فالمكان الشعري يعيد خلق صورة مكان الألفة ويزيد من سطوعها وتعميقها حدّ انفصال الشاعر نفسه من مكان القصيدة الشعرية " (1).

وكذلك يبدو أثر المكان واضحا في العمل الفني من خلال إشغال العمليات الحسيّة والإدراكية لدى متلقى العمل ، فكانت النتيجة الخروج من السطح والإبحار نحو الأعماق وهذا ما يؤكد الدكتور عبد القادر الرباعي في حديثه عن التشكيل المكاني قائلا : " إن التشكيل المكاني الشعري قد منح حواسنا القدرة على الإدراك الحسي الذي تجاوزنا به سطوح المواد المتجمعة إلى الأعماق البعيدة المفتوحة على اللامحدود من الأمكنة " (2).

ومن هذا المنطلق ينبغي لنا أن نعرف بأن القيمة الأساسية للمكان الشعري تتموضع في حيوية المكان، الذي أضحى عاملا أساسيا في بناء العمل الفني : " حيث يؤسس المكان الشعري جماعيا على وفق الطاقة الرمزية لحيوية المكان " (3).

وليس أدلّ على أهمية المكان في العمل الفني من مقولة باشلار التي تُقيم العمل الفني وتجعل عنصر المكان هو العمود الفقري الذي يكفل النجاح والإجادة لذلك العمل

(1) المكان في النص المسرحي : 126

(2) الصورة الفنية في النقد الشعري : 193

(3) المكان في النص المسرحي : 20

حين يقول : "فالعمل الأدبي حين يفقد المكانية فهو يفقد خصوصيته وبالتالي أصالته " (1).

وكان "باشلار" قد اعتمد واشترط عنصرا مهماً وجديداً لنجاح العمل الأدبي ، وهو إخضاعه للمكانية ، فحين يخلو العمل الأدبي منها فقد يفقد خصوصيته التي ينتمي إليها وأصالته التي تعدّ من أساسيات العمل الأدبي ومسوغات نجاحه ، ونحن نميل إلى رأي "باشلار" نظراً للأهمية القصوى التي ينطوي عليها المكان ، فرأيه جاء في صميم الحدث بل وفي إطار الرؤية الثقافية والاجتماعية ، التي أساسها المكان ، وما دام المكان يشكل حدثاً بارزاً ومهماً في سياق المنظومة الإنسانية والثقافية بكل أطيافها ، فلا بدّ لذلك أن تكون أهمية المكان لا تقلّ شأنًا عن غيرها من عناصر العمل الأدبي الأخرى ، وفي هذا الجانب ، يقول الدكتور ياسين النصير مؤكداً على أهمية المكان وضرورته في العمل الأدبي ، بل وجعله عنصراً مهماً وأساسياً من عناصره : " إنّ المكان عندنا شأنه شأن أيّ عنصر من عناصر البناء الفني ، يتجدد عند الممارسة الواعية للفنان ، فهو ليس بناءً خارجياً مرئياً ، ولا حيزاً محدد المساحة ، ولا تركيباً من غرف وأسيجة ونوافذ ، بل هو كيان من الفعل المغيّر والمحتوي على تاريخ ما " (2).

(1) الصورة الفنية في النقد الشعري : 212

(2) إشكالية المكان في النص الأدبي : 8

المبحث الثاني

صورة المكان

• تأثره بالمكان الكويتي :

إن الناظر في ديوان الشاعر العربي (أحمد محمد السقاف) ، يلمح تأثره بالمكان الكويتي بشكل كبير ، وإذا نظرنا في ديوانه وجدنا أول قصيدة له عن الكويت ، يشيد في شعبها، وفي حضارتها ، وبالأمكن التاريخية التي تشير إلى حضارة المكان ، فيقول السقاف في قصيدة له عنونها بـ (شعب الكويت) :

مَرَحِي لَقَدْ حُزَّتْ مَا تَرْجُو وَلَا عَجَبٌ فَأَنْتَ تَنْمِي إِلَى قَوْمٍ هُمُوا الْعَرَبُ
وَكُنْتَ يَا كُوَيْتَ طَوْدًا بَوَّجَهُ الْخَاطِفِينَ أَبِيَّةً أَنْ يَسْتَبَدَّ بِكَ الْإِرْهَابُ وَالرَّهْبُ
وَصُنْتَ تَارِيخَكَ الْمَرْمُوقَ مُحْتَسِبًا دَمًا زَكِيًّا بِنَارِ الْبَغْيِ يَنْسَكِبُ
شَعْبَ الْكُوَيْتِ لَقَدْ أَرْضَيْتَ مَا حَفَلَتْ بِهِ الْعُصُورُ وَمَا تَاهَتْ بِهِ الْحَقَبُ⁽¹⁾

يستحضر السقاف المكان في أبيات قصيدته السابقة ، ويصور انتماء شعب الكويت لمكانهم ومسقط رأسهم ، وأنه صلب على الأعداء مهما حاولوا فعله .

ويقول أيضا في وصفه للمكان الكويتي :

أَحْبَبْتُكَ أَمْ أَلْتَمُ الْوَجْنَتَيْنِ لَقَدْ شَاقَنِي مِنْكَ هَذَا اللَّقَاءُ
وَقَدْ كَانَ ظَنِّي بِهِ بَيْنَ وَبَيْنٍ فَمَا أَعَذِبُ الْوَصْلَ بَعْدَ الْعِنَاءِ
أَحْبُكَ وَالْحُبُّ فِي الْمَقْلَتَيْنِ يُطِلُّ وَيَفْضِحُ مَا فِي الْخَفَاءِ
يَقُولُ لِي النَّاسُ : مَا اسْمُ الْحَبِيَّةِ لَقَدْ حَيَّرَ الْفِكْرَ هَذَا السُّوَالُ

(1) ديوان شعر السقاف : 9 - 10

فقلت : الحكاية جدا غريبة فما من غموض وما من خيال
أعيدوا التأمل في كل بيت فقالوا : عرفنا الكويت .. الكويت (1)

نجده هنا يستدعي المكان في شعره بأسلوب خفي في البداية ، فهو يصف الكويت ،
وكانها حبيبة له فارقها مدة من الزمن ثم لقيها ، فقد أضفى على صورة المكان صورة
شاعرية جميلة تجلت فيها جميع معالم الجمال ، والشاعرية الحيّة .
فلقد ركز شاعرنا هنا على الوصف المكاني الغزلي ، فارتباطه الحميم بالمكان ، نجده
غني بالحسّ والشعور المفعم بالحيوية ، فالإنسان إذا عشق محبوبة له يموت من أجلها ،
فكيف إذا عشق وطننا ؟ !

ويرسم السقاف صورة جميلة لوادي الباطن ، فقد تعلق به وأصبح عالقا في ذاكرته ، لما
يحملة هذا الوادي من ذكريات جميلة ، فهو موطن الصبا والشباب ، تجري مياهه في
الصباح الباكر جري النسيم الرقيق ، يداعب صوته احتواء النجوم ، تنقياً الطيور على
جانبيه بين أغصان الأشجار ، يحنو على الشاعر في ظلمة الليل ، يعد الشاعر على
ضفتيه النجوم ويجمع الحصى والورود ويحضن أعشابه الغضة الطرية ، ويقول فيه :

انظر تجد الله ، آثاره ملموسة عن كل قرية أقرب
إنّي أهيّم بوادٍ قد درجتُ به منذ الطفولة كم يحلو به اللعب

(1) ديوان السقاف : 96-105

خَضْرُومَاءٌ وَمَا جَادَتْ بِهِ الْكُتُبُ

وَادٍ تَحْفُ بِهِ مِنْ كُلِّ يَانَعَةٍ

إِذَا الطَّيْرُ بَيْنَ الغُصُونِ تَفَيَّا⁽¹⁾

رَأَيْتَكَ ظِلًّا ظَلِيلًا تَبَدَّى

لقد بيّن لنا الشاعر الصفات الجمالية لهذا الوادي التي إن عكست فتعكس خبرته وتجربته في هذا المكان الذي درج به في صباه ، ولعب على جوانبه منذ نعومة أظفاره ، فلا عجب أن تبقى صورته دائما في مخيلته تلحُّ عليه ، ومن هنا يصبح هذا الوادي جزءا من حياة الشاعر في المكان عبر تفاصيله الأليفة .

ولم يغفل الشاعر أهمية هذا المكان تاريخيا وحضاريا ، إذ يحمل كل مكان ما يصنع تاريخيته ويخلده على أرض الواقع ، فالكويت كانت ومازالت أرض الحضارة والديمقراطية ، وهي أرض الحق والسلام ، وأرض العروبة والأمجاد ، وكويت العلم والاقتصاد ، والبناء من الأرض المعطاء ، فيقول السقاف في حب الكويت وتمجيد حضارتها ، وحب حكام آل الصباح :

تَحَيَّا الكُويْتِ مَنَارَةَ الفَرَجِ

الشَّعْرُ يَصْدَحُ فِي مَسِيرَتِهِ

لِلْمُؤَاطِنِ المَحْبُوبِ كَالسَّرْجِ

أَلصُّبَاحِ بَقِيَّتُمَا أَبَدًا

لَمْ تَسْكُنْ يَوْمًا وَلَمْ تَهِنْ

فَالِي الكُويْتِ الحُرِّ تَهْنِئَةً

أَنْشُودَةً فِي مَسْمَعِ الزَّمَنِ⁽²⁾

أَنْبَاؤُكَ الغُرَاءِ يَا وَطَنِي

(1) صحيفة (ملتقى الثقافة) : ع : 44 ، 125 . لم تنشر في الديوان (بعد 1989) .

(2) أدباء وادبيات الكويت : 44 .

فيستدعي السقاف في قصيدته العراقة والأصالة في بلده الكويت ، والجمال والقوة بحكم آل الصباح ، ليشكل من معانيها مرجعية ، تاريخية وحضارية ، تستأثر بقلب الشاعر ، وتشده إليها . وقد مثلت صورة المكان (الكويت) عند الشاعر ، حباً داخليا ولدت عنده معاني شعرية جميلة .

ويجسد صورة المكان الكويتي من خلال تجسيده لصورة تدمير جزء من المسجد الكبير في العاصمة الكويتية من قبل الغزو العراقي الغاشم ، وفيه يقول :

آه على المسجدِ وقد هتكتُ
فيه المحارمُ والتتكيلُ ألوانُ
من يبلغ القوم في العراق أن بنا
جرحا عميقا إذا لم تدرِ العراقُ⁽¹⁾

صور السقاف هنا صورة لمكان المسجد ، الذي هو جزء من مدينته ، وكأنه أراد بذكره أن يبين أن الاحتلال العراقي لم يأت إلا للخراب والتدمير ، صورة أراد أن يوصلها لنا من خلال وصف المكان .

يستحضر الشاعر هنا المكان من خلال وصفه قرية من قرى الكويت وهي (المرقاب) (والمنصورية) ، يقول فيهما :

(1) مجلة (أنصار العرب) : 144 ، 1990 .

بأَرْضِ الْكُوَيْتِ أَزْهَارٌ مُلَوْنَةٌ فِيهَا خَيْرَاتٌ مِنْ كَرَمِ غَمَرِهَا
تَجَلَّتْ بِأَرْضِ الْمَرْقَابِ خَيْرٌ دَارٍ وَبِالْمَنْصُورِيَةِ عِزُّهَا وَحُرَّاسُهَا
يُوحِدُنَا اللَّهُ بِحُكْمٍ عَادِلٍ يُوَحِّدُ دِيَارُنَا وَيَحْمِيهَا (1)

تمثل (المرقاب) و(المنصورية) لمكان جزئي ،ضمن مكان كبير هو الكويت ، فدلل في هذه الأمكنة لبين لنا حبه الشديد لمدينة الكويت .

ولعل من البين أن يذكر الشاعر أمكنة متفرقة ، فاستدعاء هذه الأمكنة يخدم رؤية فنية فهو يقول : " وإنّ نظرة فاحصة إلى هذا الاستخدام الإيجابي للمكان ، تؤكد أن ثمة فارقا بين أن يكون استدعاء المكان لذاته ، وبين أن يكون استدعاؤه في إطار رؤية فنية ، ومن موقع كونه خلفيّة ضرورية لحدث كبير كما هو الحال في هذا الاستدعاء الشامل الذي تتحرك في إطاره الأمكنة بأشياءها البعيدة والقريبة " (2) .

(1) أحمد السقاف (نخبة من مقالاته ومقابلاته) : 88 ، لم تنشر في الديوان .

(2) المصدر السابق : 86

• المكان العربي :

لقد تأثر السقاف بالمكان العربي ، تأثراً واضحاً ، وجسدّ الهمّ العربي من خلال أشعاره ، فقد تعددت الأمكنة العربية ، في شعر السقاف ، فمن فلسطين ، إلى صنعاء ، ودمشق ، وعمان والخليج العربي . فقسّم الباحث المكان العربي في شعر السقاف إلى عدة أقسام منها :

§ أولاً : صورة المكان الفلسطيني :

يقول السقاف : "إنّ الحديث في القضية الفلسطينية ، حديث معاد مهما حاول المتحدث أن يجدد فيه ، وإذا كان عنتره بن شداد قد قال في أول بيت من معلقته الميمية المشهورة هل غادر الشعراء من متردم ، فإنّ المتحدث عن القضية الفلسطينية يستطيع أن يقول : هل غادر المتحدثون عن فلسطين من بقية للآخرين ، ومهما كان الأمر فإن الحديث لن ينقطع ما دامت هذه القضية العربية الإسلامية تؤرق عشرات الملايين من المسلمين المخلصين في البلاد الإسلامية والعربية ، لذلك رأيت أن أضع أمام القارئ الكريم قصائد من شعره تحيي الضمير العربي ، وتُعيد ذاكرته إليه ، لتلا ينسى هذا البلد المبارك " (1) .

فقد جعل السقاف الهم الفلسطيني بين عينيه ، وخطه بريشته شعراً مؤلماً يعترض النفوس لما آلت إليه فلسطين من استباحة واغتصاب . وفيها يقول :

لقد ثارت الأحرارُ تزحفُ للوغي وقد هاجت الآسادُ تزارُ في الأجمِ
أجادنا في "فلسطين" حديثُها حديثُ هدىً للثائرين من الأممِ

(1) أحاديث في العروبة والقومية : 197

لنا صفحةً بالأمس حين تمزقتُ
بجرذاتها "إيلات" فالتهبَ الخِصَمُ⁽¹⁾

يظهر المكان واضحا في أبيات السقاف السابقة ، فيعمق الهوية العربية الفلسطينية من خلاله، وكأنه يقول ، إن كل من قال عن نفسه أنه عربي ، هو مسؤول عن "فلسطين" ، فهو يُظهر انتماءه للمكان ، ففيها من خلال ذكر المكان يظهر العلاقة المترابطة الاتحاديّة بين الإنسان وفلسطين .

ويقول أيضا في حديثه عن القدس والمسجد الأقصى :

تَوَاقُّ لَصَلَاةٍ بِهَا مِنْ غَيْرِ غَاصِبٍ مَكِيدٍ

أذَعَتَ لَهَا الْأُمَّةَ بِأَمْرِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ

مِنْ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى أَمْرَ رَبِّي بِصَلَاةٍ

أَرْضُ الْقُدْسِ مُقَدَّسَةٌ مِنْ رَبِّ الْعِبَادِ⁽²⁾

يستدعي الشاعر في قوله المكان المقدس ، وذلك نابع من مرجعيته الدينية ، فالشاعر يوظف المكان بالتمني بأن يكون فيه ، يؤدي صلاة ، ويذكر أهمية هذا المكان على مرّ العصور والأزمان ، فكان لمدينة القدس حيّز مؤثر في قلب الشاعر ، فهي مسرى الرسول - صلى الله عليه وسلم- ومهبط الأنبياء (عليهم السلام) ، تحوي عددا من الأماكن المقدسة كـ(الأقصى) و(قبة الصخرة المشرفة) ، وكان الشعراء بطبيعة الحال مشدودين نحو هذه الأماكن .

(1) ديوان السقاف : 286-287 .

(2) مجلة الحدث ، ع15 : 141. لم تنشر في الديوان .

ويدلل على هذا الرأي إلياس خوري ، في قوله : " ينبع اهتمام الشعراء بفلسطين من خصوصيتها بين الدول العربية ، فهي من البقاع المقدسة والمحتلة التي تتعرض لاقتلاعات جماعية على أرضها ، فيزداد وعي الفلسطينيين بالأرض ، ويتشبثون بها ، ويصبح الوعي جادا " (1) .

وقد أثر المكان الفلسطيني في مسار القصائد العربية ، وذلك " لأهمية هذا المكان في اعتبارات الكرامة والحرية ، وكافة الرموز في الهوية الوطنية والقومية ، بمعنى أن المكان الفلسطيني أخذ موقعا فاعلا ومؤثرا في معركة الوجود " (2) .

ويستعيد المكان الفلسطيني أيضا من خلال ذكره (ثورة الحجارة) فيقول فيها :

وَلَاءِ الصَّغَارُ قَدْ أَيْقَظُوا الشَّعْبَ ب وَهَاجُوا إِبَاءَهُ وَأَقْتَدَارَهُ
 وَتَنَادَوْا مِنْ أَجْلِ صَوْتِ فِلَسْطِينَ فُطُوبَى لِمَنْ يُحَرِّرُ دَارَهُ
 وَرَفَعْتُمْ رُؤُوسَنَا وَعَلَيْكُمْ وَبِكُمْ نَالَتْ الْحِجَارُ نِضَارَهُ (3)

قال الشاعر هذه القصيدة ، تمجيذا للثورة الفلسطينية في الضفة الغربية ولواء غزة . وفيها تستيقظ ذاكرة الشاعر ، ويستيقظ معها الحجر الذي سيطرد المحتلين عن أرضه .

(1) الذاكرة المفقودة : 223-224 .

(2) فلسطين قلب العروبة : 252

(3) ديوان السقاف : 13 ، 16

فلم يغفل الشاعر استحضر الأحداث العظيمة التي أيقظت الشعب ، ورفضت الذل والهوان فيقول الشاعر إذا أنتم حاربتُمونا بالرصاص ، فنحن نحاربكم بالرؤوس المرفوعة ، والأصوات المسموعة ، وبأيدينا الحجارة . فنجد أن الشاعر هنا استحضر المكان والزمان في وقت واحد مما يدل على دقة الأسلوب ، وقدرة على ديباجة المعاني بأسلوب واضح مرئي .

صورة المكان اليمني :

برز الاهتمام بالمكان اليمني في شعر السقاف ،نتيجة للظروف السياسية والاجتماعية السائدة فيها ،وفي ذاكرته مكان للنضال والدفاع عن الوطن والدين ،وفيه أيضا حبّ لليمن وأهلها فقد عاشت اليمن سابقا في حكم الإمامية ،وكافحوا من أجل التخلص من هذا الحكم الذي كان يحكمهم ،وبعدها وصلوا إلى التقدم والنمو والازدهار في حكم الجمهورية .

وفي ذكر المكان اليمني يقول السقاف :

والحبُّ مذُ كانَ ما ضنَّتُ اليَمَنُ	قَدِمتُ فاستقبِلتني بالهوى عدنُ
إلا غبِّي غريقُ في العمى أفنُ	مهدُ العروبةِ لم يجدْ مكانتها
فالوحي مرتبكٌ والفكرُ مُرتَهَنُ ⁽¹⁾	صنعاءُ يا بلدَ الأحرارِ معذرةً

(1) ديوان السقاف : 124-127

يصور المكان اليمني ، ويخصّ منه عدن ، وصنعاء ، ويشكل المكان عنده مرجعية تاريخية وحضارية ، فعندما يستدعيه ، يستدعي حضارة المكان وعراقته ، وكل ما يشير إلى تاريخيته .

فلقد سردها الشاعر بأسلوب شعري شديد التماسك والإتقان ، وبفنية عالية .

ويقول أيضاً :

بلاد اليمن بلاد العرب أفلحت
من الصحراء جذور الأجداد أقاموا⁽¹⁾

ويقول أيضا :

بحب بلادهم صفت قلوبهم
برمال صحراء سبأ ظهروها⁽²⁾

الصحراء أصل الشاعر ، تختزل في فكره عدّة مفاهيم وتصورات أنها " أكثر الأقاليم الجغرافية التصاقا بوجودان سكان المنطقة العربية ، فقد احتضنت ولادة الشاعر الجاهلي ، الجذر الأول للثقافة العربية ، وشهدت ولادة الدين الإسلامي " ⁽³⁾ .

ففيها من السمات العربية الكثير ، إذ هي منبع الشعر والثقافة ، ومنشأ الدين الإسلامي وكل ذلك آثار تساعد الشاعر في استدعاء هذا المكان الأممي الواسع وتحميله همومه القومية .

فأخذ يظهر لنا أن معظم الصحراء اليمنية ، هي أصل القبائل العربية ، فالصحراء تشكل موطن الشاعر العربي الأصيل ، ودلت على هوية العروبة .

(1) خواطر في القومية العربية : 144

(2) ديوان شعر السقاف : 188

(3) المكان في النص الشعري : 55

فالمكان الصحراوي تاريخ العروبة ، وأرض الآباء والأجداد ، إذ " ليس من الممكن تجاهل أثر الصحراء مخزنا شعوريا وحسيًا للعربي ... فالصحراء تظهر العراقة والقوة والخصوبة الجسدية " (1).

§ صورة المكان العراقي :

وتتجلى عنده صورة المكان في ذكر بغداد عاصمة العراق ، وذكر نهر دجلة ، وفيها يقول :

بغدادُ ناداني أمانُ أمانُ
وشاقتني دجلةُ والشَّاطِئانُ
وهاجني الكرخُ ويا طالما
أتعبي بالظالماتِ الحِسانُ
شعبَ العراقِ الحرَّ ماذا عسى
أنْ يكتبَ الشاعرُ في ذا الزَّمانِ (2)

يصور هنا الشاعر المكان العراقي ، ويخصُّ به بغداد ، ودجلة ، والكرخ ، وجميعها أمكنة في العراق ، ذات أهمية ، ومعلم حضاري وتاريخي .

فصورة المكان العراقي تشكل عنده واقعا حسيًا إنسانيًا ، يحاول من خلاله أن يستحضر الآلام والويلات التي يعيش بها شعب العراق ، فحاول الشاعر تجسيد هذه الأمكنة ، ليتمكن من التعبير عما يعايناه أهل العراق من هموم وأحزان .

فقد تناول الشاعر المكان هنا باعتباره تعبيرًا مجازيًا عن المعاني ، لأن التعبيرات المكانية تصبح أشبه برموز أو بصور مجازية تعبر عن الحقائق الداخلية للأشخاص ،

(1) جدلية المكان والزمان والإنسان في الرواية الخليجية : 46

(2) ديوان شعر السقاف : 135

فهنا نعلم أن بغداد كمكان لا تنادي ، ولكن ذكر الشاعر بغداد ، وقصد منها صورة توضح ما يجري لأهل العراق بشكل عام .

فقد عمل الشاعر هنا على تحويل الأفكار والقيم إلى أمكنة (بغداد ، دجلة ، الكرخ) يعبر عنها بأسلوب جميل ، ويتجسد ذلك من خلال التمثيل للمشاعر والأفكار بالمكان .

وأيضاً يصف المكان بصورة فنية من خلال ذكره (آثار سامراء) : يقول :

فزُرْ إذا ترغَّبُ سرّاً من رأى ترَ الذي يبعثُ فيك الفخرا

جامعها أبقى وأندى ذكراً وقد حوى فناً تحدّ البترا⁽¹⁾

وضمَّ ما يُزري بقصرِ عفرا ملويةً شيدتْ تغيطُ الشغرى⁽²⁾⁽³⁾

يصف الشاعر هنا آثار سامراء بصورة فنية أدبية شيقة ، تدفع للتشويق والإمتاع ، فصورة المكان لم تغب عن ذهن الشاعر ، بل بقيت ملتصقة به التصاقاً شديداً تبيّن شدة تعلقه بهذا المكان . فالشاعر هنا اتخذ من المكان هدفاً رئيسياً ، لما يتمتع به من آثار خلابة ، تُسحر العيون و تُدير العقول .

ولم يكتف الشاعر هنا بالوقوف على مكان واحد ، بل ذكر أمكنة عديدة ، مما يدل على تمكن الشاعر ، وقدرته على الموازنة بين الأمكنة ، في أسلوب شعري واحد .

(1) مدينة أثرية تقع جنوب الأردن تسمى (المدينة الوردية ، وقد عدت أحد عجائب الدنيا السبع) .

(2) مئذنة جامع الخليفة المتوكل .

(3) ديوان السقاف : 467-468 .

§ صورة المكان العُماني :

يقول الشاعر في وصف الأرض العُمانية :

كلُّ شبرٍ من الترابِ العُماني هو قلبي ومهجتي وكياني
أفتديه وكلُّ حبةٍ رملٍ منه أعلى عندي من العُقَيانِ
والشمالُ الذي يُتمِّمه نجدٌ حبيبٌ إلى الجنوبِ اليماني⁽¹⁾

نجد أن الشاعر يستدعي في شعره الأمكنة العربية (عُمان) ، (نجد) ، (اليمن) ، فهذه الأمكنة تمثل في ذاكرة الشاعر ، مكانا للنضال والدِّفاع عن الوطن العربي بشكل عام ، فنجد الشاعر هنا يدمج صورة المكان بالمشاعر والأحاسيس ، كيف لا ، والمكان هو منبع الحنين .

ولا يغفل أيضا في شعره عن ذكره للخليج العربي ، فيقول :

يا خليجَ الأبابة أنتَ خليجُ العر بِ سميت من قديم الزمان
والثغور التي تزِينُك أزهى من ثغورِ تزينُ أيَّ مكانٍ⁽²⁾

§ صورة المكان المصري :

ويذكر منه مدينة بورسعيد فيقول :

بالنارِ بالدمِّ بالحديدِ وقفتُ تكافحُ بور سعيدُ بلدُ العروبةِ لا تهابُ نظي القتالِ ولا تحيدُ
وقفتُ فكانَ لها الخلودُ وقوفَ جبارٍ عنيدٍ تُملي على التاريخِ والتاريخُ يكتبُ ما تُريدُ⁽³⁾

(1) ديوان السقاف : 280-281 .

(2) المصدر نفسه : 282

(3) المصدر نفسه : 357

فخر الشاعر هنا ببلدة بور سعيد المصرية ، وذلك عندما تصدّت للاحتلال الإنجليزي ورفضت الاحتلال ، ودافع رجالها عنها بكل بسالة وتضحية .

فشكل المكان هنا عند الشاعر رمزا للنضال والتضحية والدفاع عن الوطن ، فبذكر البلد يعظم من بداخلها .

نجد أن اللغة هي المفتاح السحري عند شاعرنا ، حين جعلته يخاطب من يشاء بأي وقت يشاء وذلك من خلال تجسيده للمكان الفني ، وإضفاء الصورة الجمالية الفنية عليه .

ومن هنا وجدنا أن الشاعر ربط المكان بالفن الشعري ربطا مباشرا ، حين عكف على ربط المكان ربطا تلاحميا بالعمل الشعري الفني ، وبعث فيه من خلاله الحيوية والحركة . ومن خلال ذلك نرى أن المكان يجب أن يكون عاملا فعلا وبناءً في العمل الأدبي وخاصةً الشعري منه ، فالشاعر عندما يذكر المكان ، نشعر أنه يولد شعورا وإحساسا لهذا المكان ويضفي عليه خاصية الحيوية والحركة .

§ صورة المكان الجزائري :

يصف السقاف جهاد أبناء الجزائر ومقاومتهم الأعداء في تحرير أرضهم ، يقول :

ولن تَقَفَ الجزائرُ عن جهادٍ يحررُ شعبها ويلمُّ شملهُ

إذا طوقَ الجزائرِ من حديدٍ فإنَّ يدَ الكميِّ تُجيدُ فله⁽²⁾

ويقول شاعرنا أيضا في أرض الجزائر :

وما أرضُ الجزائرِ غيرُ أرضي بقلبٍ تُفتدي مني ومقلّة

(2) المصدر السابق : 363

أقبلُ من تراها كلَّ شبرٍ بكلِّ جوارحي مليونَ قبلة!!⁽¹⁾

نجد هنا أن الشاعر يرسم علاقة وطيدة بينه وبين المكان ، يضيف عليه طابع الاندماج المكاني حين يبرز المكان بصورة فنية بحتة في شعره ، دون التخلي عن المكان الذي يعيش فيه ، والمكان المقصود عنده ، فحبه لشعب الجزائر ولأرضها ولثورتهم يولد انطبعا عاما مفاده أن الشاعر يريد أن يقول أن كل بلاد العرب هي بلادي ، وأن همومها هي همي ، وإذا حلّ بأرض العرب شيء فكأنه حلّ بأرضي وأهلي .

وظف الشاعر هنا المكان ليعبر عن أحاسيه ومشاعره تجاه أرض الجزائر ، فتجسيده للمكان وتفننه باللغة الشعرية ، والديباجة المحكمة ، ولّد عنده صورة مكانية فنية محكمة .

§ صورة العاصمة السورية (دمشق) :

"لدمشق " حظٌّ وافر في شعر السقاف ، فهي مكان للنضال والدفاع عن الوطن والدين ، وفيه بقية من حياة ، في حين ماتت الحياة في الأماكن العربية الأخرى ، يقول :

صمودك فخرتحدّي المفاخر وإيمانك الصلب هزّ المشاعر

دمشقُ إليك تحنُّ النفوس س وبالغوطتينِ تقرُّ النواظر⁽¹⁾

فبذكر المكان هنا نجد أن الشاعر يعمق القومية الوطنية ، ويفخر بهذا المكان وبعروبته وصموده ، من خلال تجسيد كل المعاني السامية والقيم العالية فيه .

⁽¹⁾ ديوان شعر السقاف : 362

⁽¹⁾ ديوان شعر السقاف: 233

ويقول أيضا ، في تصوير دمشق :

دمشقُ أيا بسمَةً في الشِّفاهِ ويا أملاً تجتليه الخواطر
لك الله صوتاً إذا ما دعوتِ تنادتُ تلبّيكُ كلُّ الحناجرِ⁽¹⁾

§ وتستمر مصارحة المكان بالحبّ العميق للوطن العربي ، وهاهنا يقول في وصفه

للمكان التونسي :

وهتفنا حين لاحتْ جنَّةٌ هذه تونس مرحى يا صاحب
قد عرفناها فمن أطيابِها أرجُ يفديه مسنكٌ ومِلابٌ*⁽²⁾

يأسر شاعرنا هنا جمال تونس ، ويصف أرضها بالجنة ، وأهلها بالأطهار ، فصورة المكان هنا مليئة بالصور الجميلة التي أضفاها الشاعر في قصيدته ، وملاها بالحيوية والحركة .

ولا يغفل عن ذكر صورة المكان المغربي، ويقول في ذلك :

طربنا إلى رؤية المغربِ ورؤية شَعْبِ كَرِيمِ أَبِي
يدلُّ بأعراقه المـوغلـاتِ صُعوداً إلى النسبِ اليعربي
ويفخرُ إنْ فاخرتهُ الشعوبُ بتاريخه الزَّاهرِ المذهبِ⁽³⁾

(1) ديوان شعر السقاف: 236

* الملاب : العسل الأبيض ، لسان العرب ، مادة ملذ .

(2) المصدر السابق : 216

(3) المصدر السابق : 239

نجد أنه نسج أبياته السابقة بأسلوب فني بديع ، أضفى عليه جميع المعاني الرائعة ،
والعاطفة الصادقة الجياشة ، مما أدى كله إلى تصوير المكان بصورة فنية معبرة .

وهكذا فإننا نجد أن المكان العربي يستوعب هموم الشاعر ، وقضايا الأمة التي بعثرتها
الحدود يلماها في خريطة أشعاره وطنا واحدا ، وهدفا موحدا ، تجسيدا لحلم كل عربي ،
يأمل في توحيد الدول العربية .

وأخيرا ، وفي نهاية الفصل الثاني ، فإن ما قدمناه من حديث عن المكان ، وماهيته
وارتباط الشاعر به ، وتلاحمه معه ، يجعلنا نؤكد التصوير الفني الراقى الذي تبناه الشاعر
في قصائده ، فقد أثر في المكان ، وتأثر به ، بل كان المكان هو الحدث الرئيس الذي
يأتي من خلاله الشاعر لتلبية حاجاته الشعرية ، وما أراد الوصول إليه من شعر من
خلال تصويره للمكان الكويتي بشكل خاص ، والمكان العربي بشكل عام ، ولاحظنا أن
همّة القوميّ والوطني ، جعله يركز على قضايا الوطن العربي ، ويتحدث عنه وعمّا
يعانيه من فتن ومكائد ، ومصائب ، تدور فيه ، وحوله ، ويحفّز ويشجع على الجهاد
وتحرير البلاد العربية المغصوبة .

وبعد أن بيّنا المكان ، وتأثر الشاعر به ، نبين دلالاته وأبعاده عند الشاعر .

الفصل الثالث :

المكان أبعاده ودلالاته في شعر

أحمد السقاف.

المبحث الأول :

أبعاد المكان

المبحث الثاني:

دلالات المكان

أولاً : أبعاد المكان في شعر السقاف :

• البعد السياسي :

إن التركيز على المكان في الشعر يعطيه عمقا وغازارة ، وخصوصية انتمائية ووطنية تتوسع من دائرة الانتماء في نفس الإنسان ، وتقوي من أبنية الوعي الانتمائي لديه ، وتشخذ في داخله مشاعر الحس القومي " (1) .

كما " أن الشاعر من خلال إضفاء البعد الانتمائي للمكان يعكس بلورة الجاذبية التي تحدّد الهوية والإنسانية ، وفيه العشق الصوفي الذي يكشف العلاقة الاتحادية بين الإنسان والمكان من خلال تحديد القيمة الجمالية الانتمائية للمكان - الوطن - الذي يتمسك به ويعشقه ، ويضحي من أجله ضدّ القوى المعادية ، فهو ممتدح عند الشاعر ؛ لأنه يرتبط بقيمة الحماية ، وبقيمة تحقيق الذات ، لأن قيمة المكان - الوطن - تتبع من توفيره الحماية بكل أنواعها للإنسان القاطن في هذا المكان ، وبغير ذلك يبقى المكان في خيال الإنسان مجرد مكان ذات أبعاد هندسية وحسب ، لا يشعر إزاءه بأي شعور ، لأن جاذبية المكان في هذه الحالة تتلاشى وتعدم ، بسبب فقدان المكان لأبعاده الجمالية " (2) .

(1) المكان في الرواية الكويتية عند ابراهيم الملا : 191

(2) المصدر نفسه : 289

ومن هنا " فإن المكان يتجاوز حيّزه الجغرافي كمكان هندسي مغلق ، ليصبح مكاناً قائماً في المجموعة العصبية للشاعر ، وتتحدّد ملامحه وردود أفعال الشاعر تجاه المكان وعلاقاته " (1).

ووفق هذه الرؤية العميقة للمكان كبعد سياسي نلمح تداخل البعدين الوطني والقوميّ ، حيث نجد أن الشاعر السقاف ، قد نهض مع أحداث الوطن والأمة العربية ، وبين الأحداث التي مرّت بها الأمة العربية من هزائم ، وانتصارات ، فتأثر الشاعر بالأحداث السياسية التي جرت على أرض المكان الكويتي ، والمكان العربي بشكل عام وعبر الشاعر عن هذه الأحداث بصدق ، فلم يترك هذه الأحداث تمرّ دون أن يكون له فيها رأي أو اجتهاد أو تفسير .

فكان لشعره دوره البارز الذي لا ينكر في إثارة الشعور والإحساس الوطنيّ ، والانتماء للمكان ، ورفض الاستعمار ، والنذل والهوان ، كما أبرز الشاعر العديد من القضايا القوميّة كالدعوة إلى الوحدة العربية ، والتضامن العربي ، والدعوة إلى التحرير ، واستنهاض الهمم وأيقن الشاعر أنّ للشعر رسالة يصبو إلى تحقيقها وهي " أن يتناول هذه الحياة من حيث هي سعادة وشقاء ، ومن حيث هي لذة وألم ، ومن حيث هي جدّ وهزل ، ومن حيث هي مأساة وملهاة ، ثم يعبر عنها تعبيراً فنياً جميلاً ، فيكون حينئذ قد أدى مهمته ، وترسم انفعالات الحياة ، وخطى الأحداث ، ذلك أننا في حاضرنا المليء بالأحداث والانفعالات ، نحتاج إلى ذلك الشعر الذي يعيش الحياة للحياة ، وينفعل بالأحداث ، ويصورها .

(1) المشهد المكاني في شعر البارودي : 94

وقد حمل البعد السياسي للمكان في شعر السقاف ملمحاً بارزاً يعكس رؤية الشاعر السياسية للمكان ، وهو على النحو التالي :

• البعد القومي و الوطني للمكان العربي عند الشاعر :

" القومية تعني الانتماء إلى إمةٍ معيّنة والتعلق بها ،ومن مقوماتها : اللغة والأرض والأصل ،والشعور بالانتماء" (1).

ولقد شاع المضمون القومي كثيراً في قصائد السقاف ، فقد مرّت المنطقة العربية بظروف سياسية عصبية هزّت كيان الوطن العربي ،فقد أفاق العرب منذ مطلع هذا القرن على الوجود العثماني ،ثم الاستعمار الأوروبي مع ما جلبه للمنطقة من فساد وسوء إدارة ، وتدخل في الشؤون العربية ، وإرهاق كاهل الدول العربية بالضرائب المالية ، ثم ما رافق ذلك من انحطاط وتخلف ، وانتشار الجهل والأميّة ،وتفشي الأمراض ،والآفات الاجتماعية كال فقر والبطالة ، ولكن العرب لم يقفوا مكتوفي الأيدي تجاه هذه الأحداث ،فقد قامت العديد من الحركات في الوطن العربي تدعو إلى التحرر من الظلم ، وأسهمت في تعميق الحسّ القومي في نفوس أبناء الأمة العربية .

(1)الفضاء المكاني في القصص القرآني : 712/2 .

وقد تركت هذه الأحداث السياسية الجسام التي مرّت بها الأمة العربية بصمات واضحة في الانتاج الشعري عند "أحمد السقاف" واصطبغت قصائده الشعرية بصبغة الالتزام الذي يتجلى في المواقف مما يجري حوله .

وظلّ الهمّ القومي يمارس الضغط على وعي "السقاف" ، ويدفعه نحو تحسس آلام الأمة ومشاعرها ، حتى طفحت أشعاره بالاتجاهات القومية ، فلم يترك قضية تهمة الإنسان العربي إلا وتعرض لها ، محاولاً أن يعبرَ عما في نفسه من مشاعر تجاه إخوانه العرب .

ومن أبرز المضامين القوميّة التي وردت في أشعار "السقاف" الحديث عن المكان وارتباطه ، الكويت ، والقضية الفلسطينية ، والانقلابات اليمنية ، والجزائر وتونس ... فقد كان الفكر السياسي للقضايا العربية ، هو الأساس والمنطلق لمعظم التيارات السياسية التي ظهرت في المشرق العربي بعامة ، والكويت بخاصة ، فقد كان هذا الفكر خلاصة الاتجاه القوميّ العام الذي ولد في الربع الأخير من القرن الماضي .

فالشاعر يفخر بالعرب وشجاعتهم في الوقوف في وجه الطغيان والظلم ، فهم أحرار لا يقبلون الضيم والهوان ، جادوا بأنفسهم في سبيل أمتهم العربية ، وهم ثابتون على مبادئهم لا تهزّهم عواصف الزمن ، فيقول :

رَفَضُوا السَّلَامَ وَلَيْسَ غَا
يُرُ الحَرَبِ تَخْتَدِمُ احْتِدَامَا

تَأبَى الأُنُوفُ السُّمْرَانُ
تُلَوِي وتَفْتَرِشُ الرِّغَامَا

قَسَمًا بأُولَى القَبَلَتِ
يَن لِنزَحْفَنَ غَدًا كَرَامَا

فَجَموعَنَا عَدُو الرَّمَا
لِ وَنَحْنُ نَمَلِكُ الزَّمَامَا

عَرَبٌ عَلَى رُغْمِ الزَّعَا نَفٍ لَنْ نُذَلَّ وَلَنْ نُضَامَا⁽¹⁾

نجد أن القومية العربية ، هي شغل الشاعر الذي يؤرقه ، ويزيد من ألمه ، ويتمنى أن تكون كلمة العرب واحدة ، فهم ليس بالعدد القليل فنجدده يجسد المكان بذكره وحدة العرب من خلال تذكيره لهم بأن المسجد الأقصى محتل ، وعلينا أن نتكاتف ونتوحد . ويرسم لنا الشاعر أيضا صورة جميلة لأبناء " الكويت " الأبطال الأحرار الذين ضحوا بدمائهم في سبيل نصره العرب ، فكأن دماءهم أصبحت نورا يزيد الشمس وهجاً وضياء فحققوا النصر على أعدائهم ورفعوا راية الحق والحرية :

من أرض الكويت قدمنا نحمي أهل اليمن من ضيم⁽¹⁾

ويقول أيضا :

دفعنا بدمائنا ثمنا لشعب أرادوا بنا خيرا من قديم⁽²⁾

فالشاعر يتغنى بوطنه ، الذي أصبح أبناؤه رمزا ووفاء لكل أبناء العرب ، وعاصمته الكويت قلب نابض بحبّ العرب ، تحتضن أشقاءها ، فتحنوا عليهم ، وتلمّ شملهم وتسامح وتعفو عمّن أساء لها ، فقد آمن الشاعر بوحدة أمته ، حتى غدت الكويت أمّا حنونا ، تسمح التفرق عن جباه أبنائها ، فيجتمعون حولها إخوة متحابين ، وتمحي حدود تقسيم الوطن الواحد إلى دول متعددة ، يقول السقاف :

⁽¹⁾ ديوان شعر السقاف : 204

⁽¹⁾ مجلة الحدث : ع5، 98. ، وانظر : ديوان شعر (نكبة الكويت) : 108 .

⁽²⁾ المصدر السابق : 109

نَبَضَ قَلْبُ الْكُوَيْتِ بِحُبِّ شَعْبِهَا
 فَالْحَبُّ أَصْلُ الْقَلْبِ وَمَا أُدْرِي
 أَخْرَجَتْ صَنَادِيدَ الْحَرْبِ أَشَاوِسَ
 مُعَاهِدِينَ أَنَّ الْوَطْنَ هُوَ الْمَعَالِي
 وَطَنْ يَضْمُنِي بِجَنَاحِهِ دِفْئًا
 وَيَحْمِينِي مِنْ كُلِّ عَدُوٍّ يِرَاقِبُنِي (1)

فصورة المكان السياسية واضحة في أبيات الشاعر ، في استنهاض الأمة العربية ،
 للدفاع عن وحدتها ، فالارتباط بين أفراد القومية العربية الواحدة ، هو تعبير عن
 غريزة حفظ الذات الجماعية .

ونجد أيضا أن من الاتجاهات القومية التي عبّر عنها " السقاف " القضية الفلسطينية التي
 استأثرت عنده باهتمام خاص ، حيث كانت ولا زالت قضية العرب الكبرى ، وقد كان

(1) أدبيات الكويت : 125

للفاجعة التي حلتّ بفلسطين أثرها الواضح في نفسه ،فتغلّغت في نفسه ، وحمل همّها باعتبارها جزءا من همومه ، وهموم الأمة العربية .

ومن هنا فقد برزت " الكويت " بوجهها القوميّ الذي ينم عن الدور الذي تقوم به في الحفاظ على الهوية العربية ، والإرث العربي المشترك ،تجمع أبناءها عند الشدائد ،وهي عماد العربية تغرس المحبة في نفوس العرب ، وتؤلّف بين قلوبهم ، يقول الشاعر :

حمى الله الكويت وحمى شعبها

أرض الصمود والكرم والوفاء

حملت همّها وهمّ غيرها على مرّ السنين

فغرست في نفوس شعبها حبّا للعرب والعروبة

حبّا للجهاد وبذل النفس لله والوطن⁽¹⁾

من هنا نجد أنّ البعد القومي للمكان يعبرّ تعبيراً صادقاً عن حقيقة الوجدان الجماعي للأمة العربية ، فالشاعر عندما يتحدث عن الوحدة العربية ، يخاطب شعبه ، والشعوب العربية الأخرى ، ويعمل على نقل شعوره وإحساسه تجاه القضايا القوميّة .

إنّ العلاقة التي تربط الإنسان بالمكان ،علاقة وطيدة تعود في جذورها إلى آماذ بعيدة قديمة قدم التاريخ الإنساني ،وهناك أسباب كثيرة توثّق الرابطة بين المرء ووطنه ،لكنها تبدو في أوضح صورها عندما يشعر المرء بثقل همومه ومعاناته وآلامه ، فيتّجه نحو وطنه باحثاً

(1) أنا عائد من جنوب الجزيرة العربية : 45

فيه عن السعادة والملاذ والعون ، فيجد فيه الطمأنينة والراحة من متاعب الحياة ومفاسدها
وشروها .

فالمكان يكسب هويةً من هوية الإنسان الذي يعيش فيه تماما ، كما يؤثر على هذا الإنسان
ويكسبه هويةً خاصة .

ومن خلال هذه الرابطة القويّة التي تجمع الإنسان بوطنه ، ظهر البعد القومي الوطني
الانتمائي للمكان واضحا في قصائد "السقاف" ضمن نسقٍ دقيقٍ عبّر عن مدى التجاوب
والتفاعل مع الظروف والاحداث التي مرّت بالكويت بخاصة ، والوطن العربي بعامة
فكان المكان ملهماً للإبداع الفني بالكلمة ، مثلما كان ملهماً للنضال من أجل الحرية .
فقد ارتبط " الشاعر أحمد السقاف " بأحداث عصره ، وقضاياها ارتباطا قويا ، ولم يتخلّ عن
هموم الوطن ، ومعاناة ساكنيه ، فقد دفعت الظروف السياسية التي مرّ بها الشاعر أن يكون
من الأدباء والشعراء الملتزمين الهادفين ذوي الرسالة الذين يؤمنون بأن الأدب وسيلة
عظيمة إلى تحقيق غاية أعظم ، هي تحقيق حياة أفضل .

فيقول السقاف مبينا دوره الوطني في الدفاع عن هموم الوطن العربي ، ومعاناة ساكنيه :

أينَ الجهادُ وقد آن الآوانُ لهُ	إن كان يعنيهُم من أمره شأنُ
ليت الخلافَ الذي يغتال وحدتنا	يغتاله من كرامِ العربِ وجدانُ
لاحَ التضامنُ وانزاحتُ بشائرهُ	ولم تقلُ بعدَ طوالِ الصبرِ عمَّانُ

حتى نعود وفي أحقادنا أملٌ إن هزَّ بغدادَ هامتُ فيه تطوانٌ⁽¹⁾

جسد السقاف صورة المكان من خلال شعره وذلك من خلال ذكره لساحة الوطن العربي وذكره عمّان⁽²⁾، وبغداد ، وكأنه عقد آماله ، وتمنى الوحدة المكانية للوطن العربي بأجمع .

لقد عبّر السقاف في أشعاره القومية والوطنية عن ذلك التعلق بالوطن العربي ، والالتزام بقضاياها ، وحمل على عاتقه مهمة الدفاع عنه ، والتصدي لكل من يُحاول التّعرض له والنيل من وحدته ، فقد تفاعل الشاعر مع الأحداث التي شهدتها الوطن بوعي وإدراك وأبرز دور أبنائه الذين قدموا التضحيات دفاعاً عن كرامته وعزّته ، فانتسبت أشعاره بسمة الالتزام الوطني وظل يراوده كلما ابتعد عنه .

(1) ديوان شعر السقاف : 21-23 .

(2) قامت المملكة الأردنية بجهود لإزالة الخلاف بين دمشق وبغداد ، بعد مؤتمر القمة الذي عقد في

عمان ولاحت بشائر الوفاق ، ولك لم تثمر تلك الجهود ، (ديوان السقاف : 23) .

• البعد النفسي للمكان :

إنّ للمكان أبعاداً نفسية تؤثر في الذات البشرية سلباً وإيجاباً ، وفقاً لما يثيره من مشاعر وأحاسيس ، فهو المرآة العاكسة لهذه المشاعر ، إذ يقترن هذا المكان " في البيئة الذهنية للكائن بحزمه من الدلالات الإيجابية والسلبية " (1).

ف نجد أنّ الشعراء والمتقنين اتخذوا من المكان ملاذاً للحرية والدفء ، فلجأوا إلى أماكن عاشوا فيها وابتنوا لأنفسهم حزمة من الذكريات ، وأعشاش الطفولة البريئة ففيها " أولى الأمكنة التي تدسّ قيم الألفة لدى الكائن الإنساني " (2).

وقد يكون المكان مسكوناً في خيالاتنا محفوراً في أعماقنا دون أن نعيشه مباشرة ، وتربطنا به علاقات قوية تجسّد عمق الانتماء مع مفرداته وأشياءه ، وذلك من خلال استنطاقه عن طريق الإحساس المرهف ، ويقوم المكان بشحن الإنسان بالطاقة النفسية والوجدانية ، فالعلاقة بين الإنسان والمكان علاقة متجدرة ، وهي علاقة حميمة تقترب من درجة التقديس .

وقد اهتم الشعراء بالمكان ، وكان ارتباطهم به قوياً ، فالمكان يتخذ بعداً نفسياً فيكون محور الاهتمام والعناية عند توظيفه في العمل الفني ، " فالمكان الذي لا يثير مقداراً ما

(1) مقالات في الأدب الكويتي المعاصر : 15

(2) شعرية المكان في الرواية : 336 .

من المشاعر تعاطفاً أو تنافراً ، طالما استحوذ على اهتمام الفنان ، وإضفاء البعد النفسي أو الشعور على المكان يبدأ من لحظة اختياره لاستخدامه في العمل الفني⁽¹⁾ .

فإن الشاعر إذا وظّف المكان في العمل الفني على مستوى الرمز توظيفاً نفسياً ، ولا سيما الأماكن التي يميل إليها الفنان ، ويبادلها الحبّ والانتماء والتعاطف ، وهناك أماكن أخرى ينفر منها ، ويحملها دلالات الكراهية ، ويناصبها العدا .

والسقاف من أحد الشعراء الذين وظّفوا المكان في نتاجاته الأدبية ، وأضفى عليه الدلالات النفسية المختلفة ، فصالح المكان في بعض المواقف وناصبه العدا في مواقف أخرى ، وفقاً لمشاعره وأحواله ، وما يشحنه المكان من عواطف وانفعالات ، وتتوعدت صورة المكان ، وتفرعت تبعاً لما تحدّثه المشاعر والأحوال في أغوار الذات العميقة .

ولعلّ أكثر ما يؤجج مشاعره صورة الوطن العربي الذبيح ، الذي لعب الشتات بأهله فيقول :

يا باعثاً ألمي وشجوة غنائي	ألمي لأنتَ ، وأنتَ كلُّ رجائي
حتى غداً متعدّد الأسماءِ	ياموطناً لعب الشتات بأهله
ولو أنّها دمعٌ وبعضُ دماءِ	حاشاك تجدُّ ما بقيت قصائدي
حمالة الأقدار والأزراء ⁽²⁾	ماذا أقول ؟ وقد تتابعت الروى

(1) قضايا المكان الروائي : 55

(2) ديوان شعر السقاف : 420

يصور حزنه العميق وألمه الكبير ، بما يعانیه هذا الوطن من انقسام وتفرق ، و طمع من قبل الأعداء به ، فنجد أنّ ذاكرته ووجدانه تحمل صورة مشرقة ومضيئة للوطن ، بينما واقع الحال يكشف لنا عن عمق المأساة لما يبصره على أرض الواقع الذي يجسد وجع الأيام والإحباطات اليومية المتكررة ، التي جعلت الشاعر يبكي مع الدمع دما دلالة على التأثر النفسي الشديد بالمكان العربي .

فهو يأمل أن يكون وطننا واحدا موحدًا غير مقسم ، فالتقسيم يزيد من شتات أهله ، فمن كثرة تقسيمات الوطن العربي أصبح الشاعر يجهل عناوينه .

وتظهر صورة المكان أيضا التأثر النفسي الذي يعيشه الشاعر في قوله :

يا مَوْطِنًا لَبِسَ الْهَوَانَ وَأَرْضَهُ	أَرْضَ الْخُلُودِ وَجَنَّةَ الشُّعْرَاءِ
هَمْ ضَيِّعُوكَ حِمَاقَةً وَتَسَابَقُوا	رِكْضًا وَرَاءَ مَشُورَةِ الْأَعْدَاءِ
وَهُمُ الَّذِينَ بَجِبْنَاهُمْ قَدْ حَقَّقُوا	مَا قَدْ أُتِيحَ لِأَجْبَنِ الْجُبْنَاءِ
وَالكَوْنُ سَنَ نِظَامَهُ وَقَدْ احْتَوَى	أَلَّا يَكُونَ الْعِزُّ لِلضُّعْفَاءِ ⁽¹⁾

الشاعر هنا يذكر المكان (الوطن العربي) وفي نفسه حسرة وألم ، على ما حلّ به من ضعف حكاه ، وانصياعهم وراء الغرب ، يشاورونهم وهم يعلمون أنهم لا يريدون بهم خيرا .

فنفسية الشاعر هنا يائسة من تقاعص الأمة العربية ، فعرض لنا الأبيات هذه بأسلوب ساخر بحالة الضعف والعجز التي تجتاح الأمة العربية . فكأن الشاعر يستدعي المكان

(1) ديوان شعر السقاف : 462-467 .

العربي هنا ليبيّن لحكام العرب ، مجد العرب الأوائل ، وأنهم كانوا أعرّاء ، وأرضخوا دولة الكفر والكافرين لهم .

فكيف نحن الآن نأتي وندمر كلّ هذا ، ومن بعد العزة ، نرضى بالذلّ والجبن ، ونرضخ لمن هم أجبن الجبناء .

نفسية الشاعر هنا محطمة ، لأنه يرى انقياد قادة العرب وراء الغرب ، والسبب ، أن كلّاً منهم يستعين بالغرب ليثبت نفسه على حساب أخيه العربي الآخر ، فإذا أراد الغرب الاستيلاء على مكان ما ، نظر إليه العربي الآخر وتشتمت به ، وربما قدم المساعدة للغرب ليقضوا عليه . كل هذه الأمور أثرت في نفسية الشاعر وجعلتها مضطربة .

فالقصيدة تثير في نفسية الشاعر قلقاً موجعاً ، وجرحاً عميقاً ، فنجد في هذه الأبيات ذروة التوتر من خلال أسلوب مشبّع بعبارات التمني والسؤال والتعجب من هذا الواقع المتردي.

فكأنّي أرى في شعر السقاف ما يمثل وقتنا الذي نعيشه .

ويظهر الشاعر نفسيته المليئة بالحبّ والامل والتفاؤل من خلال ذكره المكان المصري :

طَرَبْنَا إِلَى رِحْلَةٍ فَآخِرَةٍ فَكَانَ الْقُدُومُ إِلَى الْقَاهِرَةِ

بِلَادٍ تَدُلُّ بِمَجْدِ طَرِيفٍ وَتَسْبِي بِسَاحَاتِهَا الْعَامِرَةِ

أَبُو الْهَوَلِ فِيهَا يَرُوعُ الزَّمَا ن وَأَهْرَامُهَا عَيْنُهَا السَّاهِرَةُ⁽¹⁾

(1) ديوان شعر السقاف : 394 .

فالشاعر يتملكه إحساس حبّ المكان المصري بسكانه وآثاره ، عدّ قدومه إلى القاهرة سعادة وسرورا له ،فدلل هنا بالمكان ليبين نفسيته تجاهه وشعوره .

لقد كان بالنسبة للسقاف المكان حصيلة التجارب الحيّة المشتقة من واقع المدينة المعاصرة .ومن خلال إبراز المطاعم الدوليّة والاستعمارية في المكان ، فرمز من خلال المكان إلى أحواله النفسية المختلفة فأقام معه الألفة والسرور من جهة ، ويظهر معاناته مع المكان من جهة أخرى من خلال الشعور بالوحدة والإتيان بالصورة المكانية المظلمة التي منّ بها الوطن العربي الذي كان مطمعا لدول الغرب ،فقد ساعده المكان على تصوير حالات الحزن والفرح ،التي يشعر بها عندما يعاين ويعايش الوقائع المختلفة .

• البعد الاجتماعي :

تمثّل البعد الاجتماعي عند الشاعر من خلال انتقاد المجتمعات ، فيصور من خلال المكان العربي العلاقات الاجتماعية التي تربط بين الشخصيات وقيمهم وتقاليدهم وطبائعهم ، ومستوى معيشتهم ، وما يعترضهم من مشكلات وقضايا ، كما يصور طبيعة العلاقات الاجتماعية بين الدول العربية .

لقد وظف الكثير من شعرائنا المعاصرين المكان توظيفا واعيا في أعمالهم الفنية محملة بطابع اجتماعي لواقع شعوبنا العربية ، وما يحدث على أراضيها ، فيستدعي الشاعر المكان ليصور حال المجتمعات وشواغلها المختلفة ، حيث يفرغ من قلقه وتوتره تجاه الواقع ، والرفض القاطع لطبيعة العلاقات الاجتماعية ، التي تسود المكان العربي ، فينظر بعين الناقد ، وبطريقة فنيّة واعية ، نظرة فاحصة ليفضح تلك الثغرات والسلبيات التي تعم الواقع الحالي .

" وترتبط علاقة الإنسان العربي بالمكان في العصر الحديث ، وبروزها في الأدب العربي المعاصر بالظروف الاجتماعية التي مرّ بها الوطن العربي من أوائل هذا القرن " (1) .

فالظروف الاجتماعية التي حلّت بالوطن العربي ، منها ما جعله يتقدم ويزدهر ، ومنها ما جلب له الويل والخراب والثبور .

(1) الزمان والمكان في الرواية الكويتية : 25

ف نجد أن السقاف ، يعرض البعد الاجتماعي في شعره ، مظهرا الثغرات والسلبيات وطبيعة الحياة الواهنة في بعض الدول العربية نتيجة الظروف المؤلمة التي تعرضت لها بعض الدول العربية ، و يعكس لنا أيضا الصورة الاجتماعية الصادقة من خلال حسن التعامل ، وتبادل المشاعر ، والإحساس الموحد بهمومهم .

يقول السقاف واصفا الوضع الاجتماعي الذي أصاب الدول العربية ، من احتلال واغتصاب للأرض ، ويصف الحال الذي وصل إليه أهلها :

حملت في مهجتي الجولان باكيةً	وفي الحنايا ضمنتُ القدس والنقبا
وفي فوادي أرض الرافدين فقد	صدت بانبائها الأطماع والنوبا
وذو المروعة من يفدي عروبتة	ويرفض السير خلف المعتدي ذنبا
وشعبٌ يفضل الموت والفناء	ويرفض العيش في الأسر أبدا (1)

يستدعي الشاعر المكان ليبين الحالة الاجتماعية التي يعيش بها الوطن العربي ، فيصف الجولان ، والقدس الشريف ، وأرض الرافدين ، وذكره لحياة الشعب الذي يفدي نفسه ، فداء للوطن ، ويأبى الذل والرضوخ .

جسد السقاف صورة المكان ليرينا الحالة الاجتماعية السياسية التي يعيشها الشعب العربي ، وسط الاحتلال ، وسيطرة العدو عليهم .

تتضمن الأبيات السابقة صورة اجتماعية تبين الحالة التي يعيشها المواطن العربي وسط الاحتلال ، وسلب الأرض العربية ، ونهب خيراتها ، فهذه الحالة إن دلت فإنها تدل على

(1) ديوان شعر السقاف : 64-65 .

حياة اجتماعية ، وسياسية ، واقتصادية ، لأنها صورت الواقع الكلي ، بفرحه وسروره ، وأخطائه و صوابه .

ويقول السقاف موضحا الكرم الذي لقيه في بعض الدول العربية :

رَأَيْتُ الْكَرَمَ فِي أَرْضِ الْعَرَبِ

مِنْ شَعْبٍ طَبَعَهُ السَّخَاءُ وَالْوَفَاءُ

مِنْ مِصْرٍ أَرْضِ النَّيْلِ الْعَرِيقِ

لَهَا مَنِّي وَمِنْ كُلِّ الْعَرَبِ سَلَامٌ

عَمَرَ الْقُلُوبَ وَزَادَهَا زَهَاءً وَوَفَاءً⁽¹⁾

يصور السقاف عادة من عادات العرب الاجتماعية الأصيلة ، التي تزيد من رابطة العلاقة العربية ، فيجسد المكان المصري ، ويعده مثالا على كرم العرب ، وحسن ضيافتهم .

(1) ديوان شعر (نكبة الكويت) : 55 ، مجلة الحدث : ع4، 52.

المبحث الثاني

دلالات المكان في

شعر السقافه

• دلالة المكان المقدس :

أصبح المكان عنصراً فاعلاً من عناصر استكناه العمل الفني واستبطانه؛ كشفاً لجمالياته ليس على مستوى الرؤية فحسب ، بل أصبح على مستوى الأداة شكلاً يتخذ عدّة مستويات يمكن من خلالها النظر إليه بوصفه بنيةً تقوم عليها - إلى جوار بنيات أخر - هويّة النصوص وكيانها. " هذا بالإضافة إلى أنّ المكان كان ، وما زال ، يلعب دوراً مهماً في تكوين هوية الكيان الجماعيّ ، وفي التعبير عن المقومات الثقافية ، وقد أثّرت العوامل البيئية على المفاهيم الأخلاقية والجمالية التي تحرك الشعوب في جميع أرجاء العالم . ويصبح المكان إشكالية إنسانية إذا ما اغتُصِب ، أو إذا حُرمت منه الجماعة ، ولذا فإنه يكتسب قيمة خاصة ودلالة مأساوية بالنسبة للمستعمرين واللاجئين " (1).

ووفقاً للتصوّر السابق قد لا أكون مبالغاً؛ إذا قلت إنّ فلسطين المحتلة تعدّ مكاناً يتخذ شكل الرمز أو البنية الرمز، التي تفجّر من خلالها جلّ الإبداع الأدبي شعراً ونثراً في فكر المبدعين العرب وخيالهم ، وعلى رأسهم أبناء الوطن الفلسطيني المستلب ، ووفق التصوّر ذاته يمكن أن يكون لمكانٍ ما غير وطن الإنسان الأصغر أو الوطن العربي الأكبر تميّز يمثّل خصوصية وتجلياً وعبقريّة في فكره ووجدانه بوصفه مسلماً . وهنا على الفور تبرز أمامنا صورة مكّة المكرمة ، والمدينة المنورة ، والقدس الشريف .

(1) موسوعة الأدب العربيّ الكويتي الحديث " نصوص مختارة ودراسات " : 52/2.

إنَّ هذه الأماكن يُنابَى من خلالها - كما تتأبى هي - أن تصبح لساكنيها وغير ساكنيها في شتى أرجاء الأرض وطناً أصغر أو أكبر وفق المفهوم القومي الذي يضيق - مع اتساعه - عن أن يستوعب هذا الزخم الروحي الذي يعلو ويربو ويفيض في النفس، فيأخذ عليها كل سبيل وفق المشاعر الفطرية السليمة ، حتى إنَّ الرسول عليه الصلاة والسلام جعل مكَّة مثلاً أحب بلاد الله إليه ، ولولا أن أهلها أخرجوه منها عنوةً ما خرج (1) .

وإذا كانت مكَّة مثلاً مهوى أفئدة المسلمين قاطبةً قد ألهمت خيال الشعراء والكتاب في العالم كشفاً عن تجلياتها وعبقريتها مكاناً ، فما بالنا بشعراء الجزيرة الذين تقيأوا ظلالها وطناً أصغر وأكبر وصلات رحى . وعن مكَّة المكرمة في رؤى المبدعين بوصفها مكاناً له طبيعة خاصة يقول الناقد د. منصور الحازمي " أمَّا "مكَّة المكرمة" فلا تعني هنا سوى المكان الذي يجمع إلى قدسيته البيئة والموقع والسكان باعتبارها مهاداً طبيعياً للفكر والأدب (2) .

ولعلَّ في مكَّة البيئة والموقع والسكان باعتبار هذه الثلاثة إلى جانب قداستها مهاداً طبيعياً للفكر والأدب في رؤى المبدعين ؛ ما مثلَّ رؤية ناضجة ومتكاملة عند كثير من شعراء العرب؛ بخاصة مع نهاية القرن الهجري المنصرم والذين صنفتهم موسوعة

(1) موسوعة الأدب العربي الكويتي الحديث " نصوص مختارة ودراسات " : 52/2

(2) المصدر نفسه : 55/2 .

الأدب الكويتي الحديث ، ومن هؤلاء شاعرنا أحمد السقاف ، الذي سنحاول أن نستبطن
بالتحليل من خلال شعره تجليات مكة المكرمة ، والقدس الشريف .

وفي وصف المكان المقدس (مكة المكرمة) يقول :

إِنَّ الْقَلِيلَ بِأَرْضِ مَكَّةَ نِعْمَةٌ ما بعدها فدريت أنت وما دروا
وظللتَ والخَرَازُ بل وجمالنا جيران بيت الله لم تتغيروا
حَفَّتْ بِكُمْ بَرَكَاتُ مَكَّةَ فَانعموا وتفيأوا ظلَّ الحَظِيمِ وكبروا
وَإِذَا الْأَصِيلُ دَنَا... وَجئتم ساحةً حول المطافِ فذكروا وتفكروا
قلبي يطوفُ ... فلا يزالُ مولعاً إِنَّ الهوى بهواءِ مَكَّةَ يأسِرُ⁽¹⁾

تتجلى عبقرية وقداسة المكان حيث يضمهم المطاف في روحانية تتأى بهم في هذا
المكان المقدس - كملائكة من الإنس - بعيداً عن الشياطين . ومن ثمَّ طلب منهم
الشاعر أن يذكرّوا و يتفكروا فيما كان بينهم وبينه من صحبة مبرأةٍ عن الهوى
إلا من هوى يجمعهم بقلبه الذي يطوف معهم حباً ، و تواصلًا ، و إيماناً حول أظهر
بقعة ، حيث يقع الهوى ، والحب ، والمودة أسيراً لهواء مكة الباردة وريحها التي
هي من صنع الله .

(1) ديوان شعر السقاف : 144

• في الدلالة الوصفية للمكان المقدس (المسجد الأقصى) :

استدعى السقاف ذكر المكان المقدس من خلال ذكره (المسجد الأقصى) الذي لم يغفل لحظة واحدة عن شعره ، وكلما أراد قلمه أن يكتب ، فإنه يذكر القدس الشريف ، ومسجدها المهدد بالهدم ، ولكن يؤمن إيماناً كاملاً بأن الله قادر على أن يخرج هذا البلد من كربته ، وينصر أهله ، على أعدائه ، وسيأتي أمر الله عاجلاً أم آجلاً ، وفي ذلك يقول السقاف معبراً عن ألمه وحسرتة :

يا سادتي الطَّغْيَانُ يُرِدِي من صَبْرٍ إلى متى القدسُ الشريفُ يُحَقَّرُ
ويصطَلِّي نارَ حُتَاتِ البَشَرِ وتركُهُ جَرِيمَةً لا تُعْتَفَرُ

ويقول أيضاً :

والمسجد الأقصى مَسْرَى رسولنا الحبيب ،يأسفُ من شدةِ الغدرِ
آهٍ على المسجدِ الأقصى وقد هُنِكَتْ فيه المحارمُ والتكليلُ ألوان

فجسد الشاعر هنا صورة المكان القدس ممثلاً بالمسجد الأقصى ، أضفى الشاعر على الصورة أسلوباً حسياً ، جسده من خلال ذكره المكان (المسجد الأقصى) .

• دلالة الحجارة كونها رمزا للصمود :

لقد مثل الحجر رمزا يدل على الصحو واليقظة التي تؤجج الثورة وتحرك المشاعر فقد عدّ الحجر رمزا للمكان الفلسطيني المقاوم.

أصبح الحجر شاهداً أميناً على الانتفاضة الفلسطينية وسلاحاً وحيداً في نضاله ضد أعدائه الغاصبين وقد مثل شعر السقاف صورة رائعة تبرز صورة الحجر من خلال شعره فيقول :

ليسَ عِنْدِي كِنَايَةَ وَاسْتَعَارَهُ فَقَرِيضِي مُسْتَلْتَهُمْ مِنْ حِجَارَةٍ

هُؤَلَاءِ الصِّغَارِ قَدْ أَيْقَظُوا الشَّعْرَ ب وَهَاجُوا إِبَاءَهُ وَاقْتَدَارَهُ

وَتَنَادَوْا مِنْ أَجْلِ صَوْتِ فِلَسْطِينَ فَطُوبَى لِمَنْ يَحْرُرُ دَارَهُ

عَزَلْ أَذْهَلُوا الْعَدُوَّ بِبَاسٍ يَعْزِبِي وَغَارَةَ بَعْدَ غَارَةٍ

إِنْ هُوَ مِنْهُمْ شَهِيدٌ تَعَالَتْ زَغْرَدَاتُ النِّسَاءِ فِي كُلِّ حَارَةٍ

مِثْلَ عَمْرِ الزَّهْوَرِ مِثْلَ الْعَصَافِيرِ وَلَكِنْهُمْ لَفَجْرٌ بِشَارِهِ⁽¹⁾

فالحجر أيقظ الشاعر ، وجعل الفلسطيني يقفل عائداً إلى وطنه أملاً في المواجهة والإصرار ، عازماً على الثأر والنيل من المحتل ، يمثل الشاعر في إظهار قوة الحجر وفعله خاصة أنه يمثل سلاح الفلسطيني الوحيد لإخراج المحتلين بواسطته ، فصورة المكان الفلسطيني ربطها الشاعر بالحجر ويمثل هذا الارتباط القوي والوثيق على قدرة الشاعر على استدعاء المكان وعرضه بواقعية .

⁽¹⁾ ديوان شعر السقاف : 13

ويقول الشاعر أيضاً :

وَنَزَلْتُمْ فِي كُلِّ عَيْنٍ وَقَلْبٍ
وَرَفَعْتُمْ رُؤُوسَنَا وَعَلَيْكُمْ
فَأَسْلَمُوا وَأَرْقَبُوا فَعَمَّا قَرِيبًا
مِن بَنِي قَوْمِكُمْ بِكُلِّ جِدَارِهِ
وَبِكُمْ نَأَلَتْ الْحِجَارُ نِضَارِهِ
يَقْطِفُ الْجُودَ بِالنَّفُوسِ انْتِصَارِهِ⁽¹⁾

هنا يمثل الحجر عند الشاعر رمزاً للصحوة واليقظة التي تحرك المشاعر ففي مفردات المكان قوة من شأنها أن تستوعب الثورة الفلسطينية .

فقد تحولت مفردة الحجر إلى سلاح فتاك شغل الشعراء فأصبحوا ينظمون به شعرا ويعبرون عن دلالاته بالشعب الفلسطيني فشبهوا الحجارة بأنها جنود تقاتل إلى جنب مع الفلسطينيين فعندما عبّر الشاعر بقوله (نالت الحجار نضاره) وكأن الحجارة أصبحت مضيئة عزا وافتخاراً بيد هذا الطفل الفلسطيني .

(1) ديوان شعر السقاف : 16

• دلالة النفط وتداعياته في شعره :

يتناول أحمد السقاف في شعره أبعاد النفط السياسية وكيف كان أثرها على المكان العربي وأهله فقد مثلت طمعا من قبل الغرب فيه ، وثرء فاحشا من قبل العرب أنفسهم وفي ذلك يقول :

يا بني العرب كفى
 مات اللسان وجف اللعاب
 شبح أسود خيم علينا
 فلم نرَ منه الا ويلاً وثبورا
 صحيح أنا عنما به
 ولكن عدونا كان أطمع به
 تحسر به أنه لنا

فقال :كيف يكون لرعاة عنم (1)

اتخذ الشاعر من النفط الذي صورّه (بالشبح الأسود) دلالة على طمع الأعداء بالأرض العربية وجعل الغرب يسخرون من العرب كيف يكون لهم هذا والأولى أن يكون لنا .
 لقد كان النفط وراء انهيار القيم ، وفتح شهية الاستعمار على وطننا العربي ، فحطّم التقاليد ، وقتل النفوس ، وظهر الحسد من قبل الغرب علينا .

(1) ديوان شعر (نكبة الكويت) : 25

وَيَصُورُ أَيْضًا لَهْفَةَ الْقَادَةِ وَرَاءَ النِّفْطِ وَنَسْيَانِ الدَّوْلِ الْعَرَبِيَّةِ الْمَكْسُورَةِ الْجَنَاحِ

فَيَقُولُ :

صَدَقْتُ أَنْ الْعَدُوَّ لَا يَرِيدُ بِنَا خَيْرًا
 وَلَكِنِّي لَمْ أَصْذِقْ أَنَا بِنَا الطَّمْعَ
 مَلَكْنَا النِّفْطَ نَسِينَا فِلَسْطِينَ
 أَرْضَ الْعَرُوبَةِ وَالسُّوْدَا
 وَغَفَلْنَا عَنِ الْجَوْلَانِ أَرْضِ النِّعِيمِ
 وَتَرَكْنَا بَغْدَادَ تَحْتَ إِفْكِ الْكَاسِرِينَ
 فَهَلْ لَنَا مِنْ خِلَاصِ
 النِّفْطِ الْأَسْوَدِ
 نَحْمِيهِ بِسِلَاحِ فِتَاكِ
 لِقَتْلِ مَنْ دَنُوا مِنْهُ
 الْوِبَالِ عَلَيْنَا
 قَالُوا خَيْرًا عَمَّ عَلَيْنَا:

قُلْتُ : أَعَمَّ عَلَى الْجَمِيعِ (1)

يشير الشاعر إلى السلبات التي تأتي من وراء النفط والفساد الذي غير ملامحها ،
 وأفسد عقول أهلها تبعا للظروف السياسية والاجتماعية التي سادتها .

(1) ديوان شعر (نكبة الكويت) : 78

فصور أن النفط هو سبب في غياب بعض القادة والعرب عن فلسطين ، والجولان ، وبغداد ، فقد استفحل الفساد ، واتسعت دائرة الخلافات على النفط ، وهو سبب قدوم الطامعين إلى أماكن النفط ، وزرع الفتنة بينها وبين الدول المجاورة .

فالأبيات السابقة تعطي دلالة سلبية للمكان العربي ، من حيث القيم والعادات العربية السامية قد غابت عنهم ، فيتجلى عظم المأساة عنده أيضا في أنهم يسهمون في تدمير أماكنهم ، فثمرات النفط تذهب للأعداء ولوسائل الاتصالات عندهم من الناقلات والطائرات التي يقتلون بعضهم بها .

فراحوا يركضون وراء الأموال والذهب والنفط ، تاركين وراءهم العروبة والنخوة .

فاستدعاء الشاعر هنا للمكان العربي ، وخاصة المكان الفلسطيني ، والجولان ، وغيرها من بلاد العرب التي سيطر عليها الغرب ، يمثل صورة صادقة لما ذكره الشاعر ، من ترك للجهد وتحرير البلاد ، إلى ركض وراء الأموال والملهيات الفانية .

ويقول أيضا مهددا من الولايات التي تأتي للطامعين في النفط :

مَنْ يَجْعَلِ النَّفْطَ بِأَسَا خَابَ مَطْلِبُهُ فَالْنَّفْطُ يَخْلُقُ حُسَادًا لَهُ وَعَدَى (1)

فهنا يصور لنا الشاعر الطمع والحسد من بعض الطامعين والحاسدين الذين لا يملأ أعينهم إلا التراب ، فيقول : إن من يجعل النفط هو ما يسعى إليه فقد خسر وخاب مطلبه وسعيه ، فلا يظن أنه سيجنى من النفط راحة بال ، بل حسادا وأعداء ، يغزون بلاده ، من أجل هذا الطامعون الأسود ؟ ! .

(1) ديوان شعر السقاف : 201

ويقول أيضا موضحا صورة فنية للنفط بأنه نفسه يرفض أن يكون سلاحا يحارب من يخرج بأرضهم ، فكيف بالذين يستفيدون منه ، ويطمعون له ، وصور وطنه الذي يعيش به ، والنفط الذي يخرج من أرضه أنه لهم ، ولا يحق لأيّ عدو غربي أن يطمع فيه لأنه ليس من حقهم بل هو من حق أهل بلده :

رَفَضَ النِّفْطُ أَنْ يَكُونَ سِلَاحًا	لَيْتَهُ فِي الظَّلامِ أَرْغَى وَأَزِيدَ
دَجَنُوهُ فَصارَ كالماءِ يَجري	مستكيناَ يَقْبِلُ الرّأسَ واليَدَ
والبلايينُ وهي ثروة قومي	تحت رأسِ العدوِّ إمّا تَوَسَّدُ
هو منها يَكِيلُ للعُربِ صَفْعًا	ويُنمِّي بها ثراءً ويسعدُ ⁽¹⁾

و يُظهِرُ خطورة النفط وأنه سلاح فتاك ، وأنه هو سبب طمع الأعداء في المكان العربي يقول في ذلك :

النفطُ سلاحُ فتاكُ
وعليه حياةٌ وهلاكُ
فليسمعَ هذا السِّفَّاكُ
وليفهمَ ذاكَ الأفَّاكُ⁽²⁾

(1) ديورا شعر السقاف : 118

(2) المصدر السابق : 186

• دلالة القبر في شعره :

يمثل القبر المكان النهائي للإنسان ، بل هو مهد الميت الأخير ، والمعبر للحياة الأخرى ، وهو رمز للعجز و الضعف الإنساني في مواجهة الموت وقهره ، و المكان في شعر القبر واحد أينما وجد وحيثما ذكر ، فهو لا يعني إلا تلك الحفرة التي يوارى فيها الجسد الفاني .

والمكان "القبر" في شعر السقاف ، يصور انقطاع الميت عن الحياة الدنيا ، وانطوائه تحت التراب ، وفي تصوير المكان " القبر " يقول السقاف :

يا فقيدَ البيانِ عشتَ أبيضاً ألفُ طوبى لموضعِ لك مرقدِ
ملاً القبرَ من حجاجِ ضياءٍ أنت في القبرِ مثلما كنتَ فرقد⁽¹⁾

يصور الشاعر القبر الذي ضمّ الأديب أحمد البشر ، وأنه امتلاً ضياءً ونورا لطهارة ونقاوة الذي دخل فيه ، وقد عمد الشاعر على إدخال صورة فنية بلاغية عندما شبهه بالفرقد الذي ملأ القبر نورا وضياءً ، وهذا ما أعطى القبر في السياق الشعري ، روحاً جديدة انعكست في دورها على القصيدة الشعرية ، حيث جعلها ترفض الخنوع للجمود بل بثّ فيها الحركة والحيوية .

(1) شارك بها الشاعر أحمد السقاف في حفل تأبين أقيم للأديب أحمد البشر في قاعة رابطة الأدباء ،

ويضيف على المكان " القبر " الحركة ، فيصور الموتى الذين في القبور يتأثرون ويحسّون بما يجري من فتن جراء العدوان على أرضهم ، يقول الشاعر :

ثوري على العُدوانِ ثوري وتحمي لهبَ السَّعيرِ

ثوري فقد كلَّ النداء وهزَّ سَكَّانَ القُبورِ⁽¹⁾

فيصور هنا "سكان القبور " وما يعانونه ، وكأنه يقول إذا كان العدوان على بلادنا آلم الأموات في قبورهم ، فكيف بنا نحن الأحياء ؟ ! .

فيظهر هنا عن القبر صورة الحكمة والعبرة ، نظرا لارتباطهما الوثيق بنفسية الشاعر الذي تألم لما يحصل للبلاد العربية من غزو ، وقتل ، وتشريد أهل ، ويقصد هنا " أهل فلسطين " .

ويتحدث عن الأبطال المزيفين الذين عاشوا على عزّ من كان قبلهم ، وأخذوا السيط والمجد قليلا ، ثم ضيّعوه ، لأنهم لم يسيروا على نهج أسلافهم وخطاهم الذين هم الآن تحت القبور ، يقول السقاف :

فلم يدفع المجدُ عنا الهوانَ ولا عصفتُ بالعدوّ المنابر

ألا جولةً تسحقُ الغاصبينَ وتجتاحُ ما شيّدوا من دساكر

وإلا فنحنُ ادعاءً كذوبٌ يعيشُ على مجدِ أهلِ المقابر⁽²⁾

(1) ديوان شعر السقاف : 188

(2) المصدر السابق : 235

فصور الشاعر أهل المقابر وفضلهم علينا ، وسخر من الأحياء الذين نالوا ما فدى
به أسلافهم أرواحهم فداه ، دون تعب وشقاء ، ويأتون الآن ويدعون المجد لأنفسهم ،
كذبوا وخسئوا ، فالمجد يأتي من وراء الدفاع والصمود والقتال حتى الموت دفاعا
عن الأرض وفداءً لدماء الشهداء .

ومن هنا فقد صور الشاعر القبر ، حيث كانت الصورة التي رسمها له صادقة ،
تجعل القارئ يتأثر بها ، فطرية ، بسيطة ، بعيدة عن التعقيد ، إذ اعتمد على التشبيه
والاستعارة ، بالإضافة إلى استخدام بعض عناصر الحركة والزمان والمكان في
صورة حسية مادية .

دلالة الصحراء في شعره :

تضم الصحراء الكثير من التضاريس ،كالجبال ، والأودية ، إضافة إلى ما تحويه من موارد مياه ، وحيوانات وغيرها ، وهي تمثل بعض الصور المكانية في شعر السقاف .

ونجد أن السقاف يتخذ من الصحراء رمزا ودلالة سياسية واجتماعية للمكان العربي ويوضح أثرها ففيها الصحراء حيث وُجد النفط ، وعليها قاتلوا من أجل الدفاع عنها ، وفيها يقول السقاف :

تأبى الصَّحارى خُنوعاً فهي ما بَرِحَتْ تُمَثِّلُ الغالينِ الجُودَ والصَّيِّداً (1)

وفي رصيدك أمجادٌ مخلَّدةٌ على الجديدين تَفْري قلبَ من رَصداً (2)

فيصور الشاعر هنا الصحراء وأهل الصحراء ووقوفهم في وجه الطغاة الطامعين ، وأنه مهما تعرضوا إليه من بطش ، فهم أباة صامدون في وجه من يتحداهم ، صامدون مثل هذه الصحراء الأبية .

ويقول أيضا في وصفه المكان " الصحراء " في إيمانه بها بأنها ستنتبت وهي قاحلة رجالا يدافعون عنها ، ويدفعون عنها الأذى ، يقول في ذلك :

آمنتُ بالصحراءِ تُنْبِتُ _____ بَتُّ وهي قاحلةٌ عظاما

(1) الصيدا : الإباء ، لسان العرب ، مادة صيد .

(2) ديوان شعر السقاف : 200

نفروا إلى اليرموك فاقموا السواحل والشاما

واستهلوا كسرى وما كانت نهايته مراما (1)

صورة بلاغية رائعة وضحاها الشاعر من خلال تصوير الصحراء بأنها تنبت رجالا وهي قاحلة ، دلالة على قدرتها ووقوفها في وجه الأعداء مهما حلّ بها أو حصل لها ، فماضيها دليل واضح عليها (اليرموك) ، و (الشام) ، (وملك كسرى) ، كل هذه البلاد والأمكنة جاءها من الصحراء من يحررها ، ويخرجها من ظلماتها .

ويقول أيضا في ذكره الأنهار :

بغداد ناداني أمان أمان وشاقتي دجلة والشاطئان (2)

فيصور الشاعر لنا هنا صورة الأنهار الموجودة في العراق ، وأنه مشتاق لرؤية هذه الأمكنة (الأنهار) التي تزدان بها العراق .

ويقول أيضا في وصف أماكن الانهار :

فلا الجزيرة للآهات مصنوعة ولا الخليج يحسُّ الهمَّ والكمدا

ولا الفرات تحدى وهو مقتدر كيد الأعداي فأدنى النيل من بردى

فمثل مكان " الأنهار عند الشاعر رمزا للحدود العربية التي يجب الدفاع عنها ، وعدم تسليمها للأعداء ، فالأنهار نفسها تدافع عن بلادها فكيف نحن العرب ؟ ! .

(1) ديوان شعر السقاف: 283

(2) المصدر السابق : 195

وأخيراً . ومن خلال الفصل الثالث لاحظنا صورة المكان عند أحمد السقاف فنيا ،
 وسياسيا ، ونفسيا واجتماعيا ، وصورة المكان عنده في الأماكن المقدسة ، وفي
 الصمود والدفاع عن الوطن بالحجارة ، وصورة النفط العربي ، وصورة القبر ،
 والصحراء ، ومجلس الأمن .

فقد بين من خلال الصور السابق ذكرها ، الأوجاع والآلام التي أحلت به ، بسبب
 الأوضاع التي حلت بالبلاد العربية ، التي حمل همومها في صدره كما يحمل هموم
 أهل بيته ، وعبر عنها في أشعاره بصورة فنية رائعة .

وسيبحث الفصل الرابع والأخير في جماليات الصورة المكانية في شعر السقاف .

الفصل الرابع

ويشمل مبحثين

المبحث الأول

- علاقة المكان باللغة عند السقاف وتشمّل :
- الألفاظ
- المعجم الشعري للمكان.
- المشمد المكاني بين الوصف والصورة الشعرية
- الصور الشعرية للمكان
- (صورة مفردة ، صورة مركبة)
- العاطفة التي تنبثق من المكان .

المبحث الثاني

النتائج والتوصيات

قائمة المصادر والمراجع

• علاقة المكان باللغة عند السقاف :

للغة دور بارز ومهم للكشف عن جماليات المكان في شعر السقاف ، فالشاعر يبني مكانه ، ويحملة آراءه وأفكاره بوساطة اللغة المكتنفة المعبرة عن المعاني والأفكار التي يريدتها .

وهنا لا بدّ من التمييز بين اللغة العادية لغة الكلام المتداول بين الناس ، ولغة الأدب التي تميّز الاعمال الأدبية عن غيرها ، ويكثر من استعمالها الشعراء والكتّاب . وفي هذا السياق يمكن القول بأن لغة الكلام العادي تشكل المادة الخام التي تستخدم في الأدب لكن بعد صياغتها وإعادة تشكيلها بأسلوب أدبي " لأنّ وظيفة لغة التعبير الأدبي سواء أكانت شعرية أم نثرية ، ليست حكزية على شاعر دون شاعر ، أو كاتب دون كاتب ، لكنها في الواقع تركيب معيّن واختيار معيّن ، يكشف عن النظام المعقد الذي يربط بين العناصر اللغويّة من ناحية ، ثم بينها وبين عالم التجربة غير اللغويّة من ناحية أخرى " (1) .

وأسلوب الشاعر هو الذي يبرز اللغة الأدبية ، ويميزها عن غيرها من اللهجات ، وهنا بالذات تكمن براعة الشاعر ، وتميزه من خلال طريقة إمساكه باللغة ، وتوظيفه لها توظيفا بارعا ، يبرز من خلالها جماليات قصيدته ، بما فيها المكان موضوع هذه الدراسة .

(1) الفن الشعري في الأدب الحديث : 55

وهذا يؤكد دور اللغة " الحقيقي ليس في ذاتها فحسب ، ولكن فيما تشف عنه من عناصر أخرى هي قوام العمل الشعري ، ففي القصيدة الشعرية تشغلنا اللغة في ذاتها - لأنها على نحو ما وصفها بعض النقاد - كالزجاج الذي ينظر من خلاله إلى غيره " (1) .

فاللغة تشكل الحركة الثانية في الشعر ، التي تتوازى بالضرورة مع المضمون الذي تشكل عالمه ، وتقدمه بصورة فنية مما يؤكد ما أكده النظر النقدي الحديث القائل بوحدة العمل الفني " لأن الرؤية تتشكل من صميم الحركة الثانية ، فليس ثمة مضمون منفصل عن حركة البنية الداخلية للفن الشعري ، فإدراك الواقع إدراكا جماليا يلغي بالضرورة عملية الفصل بين الشكل والمضمون " (2) .

فاللغة تزخر بالطاقات الهائلة التي يمكن استغلالها في بناء المكان عند الشاعر ، والكشف عن جمالياته وتجليه جوانبه .

فالشاعر يريد أن يوحد بين اللغة وصدق الإحساس ، وهو شرط العمل الناجح .

ولأن الشكل الشعري "يتضمن المسائل اللغوية " فإن ذلك لا يعني أن يكون الشكل " هو الصورة الخارجية أو الفن الخالص المجرد عن المضمون " (3) .

(1) عبقرية الصورة والمكان : 52

(2) المصدر نفسه : 50

(3) المصدر نفسه : 75

لأنّ اللغة هدف مؤثر يرمي إليه الشاعر ، وينتقي منها ما هو جدير بإبداع مضمائمه
وبما فيها من إحياءات تصويرية نفسية ، فالكلمة ترشد وتوحي ، وتصور وتعزف لحنا
معينا متميزا تسرُّ له العين ، وتطرب له الأذن ، ويرتاح له الذهن ، وتدركه النفس .
ويلاحظ أنّ ما يجول في نفس الشاعر من أحاسيس سواء أكانت في منطقة الشعور ، أم
اللاشعور ، هي التي تحدّد نوع الكلمة ومكانها وزمانها ، فيتّجه وقعها في نفسه وأثرها
عليه .

فالشاعر "أحمد السقاف" استطاع الاعتماد على مافي قوّة التعبير من إحياء ، فاللغة
عنده عذراء أبدا ، يقاربها ليودّعها تجاربه الخاصّة ، ووجوده الخاص (1) .

فاللغة الشعرية كانت الجانب الأكبر الذي شغل اهتمامه ، فابتعد بالمفردات عن معانيها
المعجمية إلى الإحياء ، وابتداع العلائق بين الألفاظ ، " فلغة الشعر هي لغة إحيائية
إشارية ، لا تُعيّن الأشياء أو المعاني مباشرة ، وإنما بالرموز ، وتتفر من تسمية المعنى
وتحديده ، بل تتعالى على التسمية والتحديد ، فهي لغة تتعامل مع الوجود لكن دون أن
تسميه ، أو تسمي أشياءه ، ومن دون أن تفسره ، بأنها تواريه ، وتوريّه في الوقت نفسه
أو تواريه من خلال توريته ، أي توحى به مخفيا " (2) .

وقد تعددت الأساليب التي استخدمها "السقاف" في تناول المكان العربي ، واختلاف
المضامين الشعرية ، فنلمح من خلال قصائده أن أغلب الألفاظ التي استخدمت في

(1) من مقالات السقاف : 22

(2) عبقرية الصورة والمكان : 44

المضمون السياسي، تمتاز أكثر من غيرها بالسهولة والوضوح ، ولعل ذلك -في حدود تقديري- يعود إلى طبيعة الأحداث السياسية التي عالجها الشاعر كالبعد الوطني والقومي، واقتضت من الشاعر التركيز على اللغة السهلة الواضحة البعيدة عن الغموض ، والتكلف حتى تكون قريبة من الوجدان الجماعي، وحتى تتسنى عملية التأثير والتواصل بين المبدع والقارئ، وفهم المغزى الكامن في هذه القصائد .

وسنحاول أن نقف على بعض القصائد الشعرية ، لنبين طبيعة اللغة فيها ودورها في المكان ، بالإضافة إلى بعض الظواهر اللغوية لنبرز طبيعة ظهورها في قصائده ومدى نجاحه فيها .

• أولاً : الألفاظ :

فالألفاظ هي مادة اللغة التي بها تصاغ الصور الشعرية أو النثرية الفنية ، وتتجسد الأمكنة التي يشعر بقربها أو عداوتها ، ذلك أنه من الملامح اللغوية المتصلة بوصف المكان وصفا شعريا ، أو تجسيده عبر الصور الفنية ، وتفاوت الألفاظ الموظفة في تشكيل المكان بين القوة والرقّة .

لقد كانت بعض المشاهد المكانية أشبه بلوحة شفافة الألوان والخطوط ، ذلك لتلونها بالألفاظ الرقيقة التي اختارها الشاعر لإحداث الأثر التواصلي بينها وبين المكان .

ومن النماذج الشعرية عند السقاف الدالة على ذلك :

تَفَرَّدَ بِالْبَأْسِ مِنْذُ الْقَدَمِ عِرَاقُ الْبَطُولَاتِ مَهْدُ الشَّمَمِ

وبات يُسامِـرُها المُبدعونَ ويستنزِلُ الوحيَ منها القلَمُ

وذو الرِّسَمِ لم يَسْتَطِعْ رسمها فحَارَ و أَعْرَضَ عَمَّا رَسَمَ⁽¹⁾

كانت الألفاظ الموظفة في وصف العراق فيها من الرقة والخفة ، مما يجعل القارئ ينجذب إليها ، ويستمتع بقراءتها دون تعقيد ، فالقصيدة متناسقة المقاطع ، مكتفة المشاعر ، وما كان الشاعر يختار هذه الألفاظ الرقيقة إلا لعمق ما يربطه بالمكان .

ويقول السقاف أيضا :

يا عرباً غرقوا في المنام أفيقوا فإنَّ العدى لم تَمَّ

فطهرانُ كفُّ إلى تل أبيبَ وكفُّ إلى من حِجَاهُ عَدَمُ

فبئس السلاحُ الذي هربوه إليهم وبئس الوسيط القزمُ

فضيحتهم أيقظت قوم هودٍ وهزّت مقابرَ عادٍ إرَمَ⁽²⁾

لقد نجح الشاعر في تشكيل صورة قاتمة للمكان ، أشعرنا كمتلقين بالنفور منه ، ولم يكن ذلك يأتي إلا بما وظفه من ألفاظ تمتلئ حزنا وقسوة مثل (غرقوا في المنام) ، (فبئس السلاح) ، (بئس الوسيط) (هزّت مقابر)

مما سبق نتبين أنّ الألفاظ تسهم في نقل حالة الكراهية أو الحميمية التي يتصف بها المكان إلى المتلقي ، وهذا يدل على دور الشاعر في التحكم بألفاظه لتنسجم مع ما يعبر عنه .

(1) ديوان السقاف : 44

(2) ديوان شعر السقاف : 47

فلألفاظ دور كبير في تبسيط البيت الشعري وتعقيده ، فالألفاظ الرقيقة الرشيفة الموحية هي التي يجذب المستمع نحوها ، ويقترب منها ، ولا ينفّر منها .

وفي بعض النماذج الشعرية عنده وجدنا الألفاظ الموظفة في تجسيد المكان والتعبير عن دلالاته ، صاخبة بالحركة للإيحاء بقدرة المكان على التفاعل ، يقول السقاف :

بغدادُ يارِفيعةَ الأصول

ياضجةً عظيمةً في مسمعِ الزَّمنِ

من الذي يجهلُ ما قدمتِ مَنْ؟!

أبناؤك الأبطالُ كالسُدودِ !

يُحطمونَ الحقدَ والأطماعَ والفتنَ

ويرفعونَ رايةَ العَرَبِ

العفوُ بغدادُ إن تنكَّرَ الشقيقُ

وأغْمضَ العينينِ في جحود⁽¹⁾

تعدد الألفاظ التي تدلّ على الحركة مثل (ياضجة عظيمة) ، (يحطمون) (يرفعون) ، (اغمض) فنجد أن كل هذه العناصر الموحية بالحركات ، تعبّر عن دلالات الصورة المكانية ، فهذه الألفاظ ما كانت تتشكل على هذا النحو ، إلا لتعبّر أعمق

(1) ديوان شعر السقاف : 80

التعبير عن حالة التفاؤل من حماسة أبنائها ، وبؤسه من الخذلان الذي لاقته من الدول الشقيقة ، فنجد أن هذه الحالة من البؤس والشقاء والتفاؤل قد استشعرها وتأثر بها .

وفي بعض النماذج وجدنا ألفاظا هادئة توحى بهدوء المكان ، وبحالة الطمأنينة والسكينة

التي يعيشها المكان ، يقول السقاف :

أَعِيدُكَ بِاللَّهِ مِنْ كُلِّ شَرٍّ فَحُسْنِكَ هَذَا عَلَيْكَ خَطَرَ
تَحِيرْتُ حِينَ نَظَرْتُ إِلَيْهِ لَكَ وَضَاعَتْ بِفِكْرِي شَتَى الصُّورِ
فَأَنْتَ وَأَقْسَمُ بِالنَّاعِسَتَيْنِ لِأَجْمَلِ مِمَّا رَأَى الْبَشَرَ
لَأَكْثَرَ مِنْ جَنَّةٍ تُرْتَجَى وَأَعَذَّبُ مِنْ كَوْثَرٍ يُدْخَرُ
حَسَنَاءُ كَظْبِي أَعْنُ تَزْهُو بِأَبْدَعِ فَنِّ مَزْدَهَرِ
فَهَلْ لَنَا مِنْ جَنَّةٍ أَجْمَلِ مِنْ أَرْضِ الْكُوَيْتِ مَقَرٌ⁽¹⁾

أسهمت الألفاظ الموظفة في تجسيد المشهد المكاني في ظهور جو من الهدوء والصمت

المطبق على المكان تعبيراً عن الاستقرار والطمأنينة التي تعم المكان.

ومن هنا يتبين أن الألفاظ تلونت بطبقة المكان ، فأضفت على المكان طابع الهدوء

والاستقرار ، فقد أسهمت هذه الألفاظ في تحول المكان إلى صورة شاعرية هادئة .

(1) ديوان شعر السقاف : 451-452 .

• ثانياً : المعجم الشعري للمكان :

إنّ المكان في العمل الفنّي شخصية متماسكة ، ومسافة مقاسة بالكلمات ، ولذا لا يصبح غطاءً خارجياً ، أو شيئاً ثانوياً ، بل هو الوعاء الذي تزداد قيمته كلما كان متداخلاً بالعمل الفنّي ، والقصائد التي تحسن استخدامه ، إنّما تسجّل جزءاً من تاريخية الزمن المعاصر " (1) .

وتصبح "بنية الكلمة مكان النصّ نموذجاً لبنية مكان العالم ، وتصبح قواعد التركيب الداخلي لعناصر النصّ الداخلية لغة النمذجة المكانية " (2) .

والمكان في الشعر يتشكل عن طريق اللغة التي تمتلك بدورها طبيعة مزدوجة ، إذ للغة بعد فيزيقي يربط بين الألفاظ واصولها الحسيّة ، كما أنّ لكل لغة نظاماً من العلاقات التي تعتمد على التجريد الذهني ، لكن المكان الشعري لا يعتمد على اللغة وحدها ، وإنّما يحكمه الخيال الذي يشكل المكان بواسطة اللغة على نحو يتجاوز قشرة الواقع ، غير أنّه يظلّ على الرغم من ذلك واقعا محتملا ، إذ إنّ جزئياته تكون حقيقية ، ولكنها تدخل في سياق حلم يتخذ أشكالاً لا حصر لها ، يصل إليها الخيال اللغوي ، فيما يمكن أن يسمى جماليات اللغة أو جماليات الخيال (3) .

(1) جماليات المكان : 251

(2) المصدر نفسه : 244

(3) عبقرية الصورة والمكان : 133

ويرتبط اصطلاح المعجم الشعري عند الشاعر " أحمد السقاف " من خلال تناوله المكان بصورة مباشرة في عملية اختيار الألفاظ وترتيبها ، حيث إن اختيار الألفاظ يصل في الأهمية إلى أهمية الموضوع ، إذ إن رؤية الشاعر لهذا الموضوع تفرض نوعيّة خاصة في المعجم الشعري .

ويمكن أن نضيف إلى ذلك طبيعة البيئة والمرجعية الجغرافية التي ينتمي إليها "السقاف" وهذه العوامل والظروف ، تسهم في تشكيل معالم المعجم الشعري للشاعر ، الذي يعيش في آفاق التجربة الشعرية ، سواء أكانت سياسية ، أو اجتماعية ، أو تاريخية ، أو اقتصادية ، مع الأخذ بأن أسلوب الشاعر يتغير في التعامل مع المفردات ، وطرق الصياغة ، وذلك وفقا لطبيعة الرؤية .

ويمكن أن نرصد مجموعة من الألفاظ المشتركة التي كثر دورانها على لسان الشاعر بحيث شكّلت مادّة لمعجم شعري يعبر عن البيئة التي أفرزته .

ولعلّ من أولى سمات هذا المعجم الشعري بروز اللون المحليّ وذلك من خلال التاثر بالبيئة الجغرافية والسياسية للمكان ، ونستطيع أن نلمس ذلك في الجانبين النفسيّ والجماليّ للمكان .

كما أنّ المعجم يمتاز بالتوافق بين الموضوع والالفاظ المستخدمة فيه ، فنجد في البعدين النفسي والجماليّ للمكان أنّ المفردات تتسم بالهدوء والرقّة ، بينما نلمح في البعد السياسي ميلا إلى المفردات ذات النبرة القويّة .

ويمكن أن نصنف هذه المفردات التي وردت في معجم الشاعر في قصائده

على النحو الآتي :

أولاً : الألفاظ العامية والدارجة والدخيلة :

- يقول الشاعر :

لافرقَ لديه أطفالٌ ذُبِحوا أو نَسوان

فالضوء الأخضرُ مفتوحٌ لمزيدٍ من تقتيلِ

ودماءُ بني قومي لعماساكر صهيون أفئونُ

وفلسطين بأجمعها تُهدى ليهود أوباش⁽¹⁾

نجد أن الشاعر استخدم هنا بعض الألفاظ العامية مثل (نسوان) ، (مفتوح) ، (أفيون) (أوباش) ، فربما استخدم الشاعر هذه الألفاظ العامية من أجل توصيل المعنى وتوصيل المشاعر والانفعالات التي تعتمل داخله، فاتجه إلى الإفادة من معجم اللهجة العامية، من خلال استعماله مضامين شعرية عامية ، استطاع بما أوتي من قدرة على وضعها في سياق مناسب مع واقع الحياة التي يصورها، كي تكون قريبة من الجماهير

- ويقول أيضا :

أتريدُ حقَّكُ ؟

يابنَ القضيةِ يا ضحيةَ جهلنا أتريدُ حقَّكُ ؟

لا تتركَنَّ البندقيةَ !

قاتلِ فحقكُ لن يعودَ بلا كفاح

ستعيش مهزوماً وتنهزمُ القضية

(1) ديوان شعر السقاف: 110-111

إِنْ جَرَّدوكَ مِنَ السِّلَاحِ

إِنْ خَدَّروكَ وَدَجَّنَوكَ وَقَيَّدوكَ !

وَالدَّرْبُ نَحْوَ الْقُدْسِ يَعْرِفُهُ الْعِرَاقُ

نَرَفُضُ الْعَارَ وَالذِّلَّ وَالْهَوَانَ⁽¹⁾

وإذا ما انتقل الحديث إلى استخدام اللهجة الدارجة ، فإن أول ما يلفت النظر فيه أنه استفاد من الألفاظ الدارجة في الحياة اليومية التي لها علاقة بالموروث الشعبي، وهي ألفاظ تتصل بشكل عميق بالوضع الفلسطيني المتصل بالأرض

- ويقول أيضا :

رِيغَانُ هَلَّا عَرَفْتَ الْحَقَّ رِيغَانُ	أَمْ أَنْتَ يُعْرِيكَ تَزْوِيرٌ وَبِهْتَانُ
مَاذَا تَرَى الْيَوْمَ يَارِيغَانُ فِي بَلَدِ	بَنُوهُ يُطْحِنُهُمْ بَغِيٌّ وَطُغْيَانُ
الْأَرْضِ أَرْضُهُمْ لَمْ يَسْلُبُوا أَحَدًا	وَالغَاصِبُونَ لَهُمْ قَوْمٌ وَأَوْطَانُ
مَنْ كُلٌّ فَجَّ أَتَوْا بِالغَدْرِ يَحْفِزُهُمْ	مَنْكُمْ نَفُودٌ وَتَمْوِيلٌ وَسُلْطَانُ ⁽²⁾

وقال :

الطَّغَاةَ الَّذِينَ لَمْ يَعْرِفُوا اللَّهَ	وَعَاشُوا عَلَى الرَّبِّاءِ وَالذَّعَارِهِ
مَنْ نَفَايَاتِ هَتَلٍ جَمَعَ الْغَرَّ	بُ حُنَّالَاتِهِمْ بِأَرْضِ الطَّهَارِهِ
مَا دَ مَسْرَى النَّبِيِّ وَاهْتَزَّتِ الْقُدُ	سُ وَكَادَتْ تَغُورُ تِلْكَ الْمَغَارَهُ ⁽³⁾

(1) ديوان شعر السقاف : 60-63

(2) المصدر نفسه : 17

(3) المصدر نفسه : 15

وقال أيضا :

زحف الحقدُ الأعمى بالدبابات

تدعمهُ أغطيةٌ من نارِ فلسطينيٍّ جمّة

طائرات وصواريخُ ومعداتٌ حربية

ومواقفٌ مُخزّيةٌ عربيّه (1)

ف نجد أن الألفاظ العامية والدارجة والدخيلة قد تعددت في أشعاره ، ليس نقصا في معجم الشاعر من الألفاظ الفصحى ولكنه حاول أن يثير المستمع من خلال قصائده الشعرية بما يتناسب مع موضوع بيئته .

• المشهد المكاني بين الوصف والصورة الشعرية :

يُعدّ الوصف من أبرز التقنيات اللغوية التي تؤدي دورا بارزا في الشعر العربي ،حتى ليكاد يكون التقنية اللغوية المهيمنة ، لأن الوصف أحد الأساليب التي تسهم في تقريب المكان من المتلقي ، وتكشف عن الكثير من العلاقات الفنية . إلى جانب دوره في تجسيد المكان واستنطاقه عمّا يحمله من رؤى وأفكار (2) .

ف تعد الصورة الفنية من العناصر الأساسية للشعر ، ويرتكز عليها تقييم الأعمال وقياس جودتها، وتكشف عادة مواطن الإبداع عند الشاعر وزوايا عبقريته. وتكمن أهمية الصورة الفنية في شحن همة القارئ للوصول إلى المعنى، فيعلق في ذهنه بعد كد وتعب

(1) ديوان شعر السقاف: 107

(2) الصورة الفنية في التراث النقدي: 154

مراد الشاعر، وفي المقابل هناك صور يصل القارئ إلى مرادها بسهولة، فلا يتذوق جمالها، ومن هنا كانت الصورة الفنية على ضربين الصورة السطحية البسيطة التي لا تستوقف القارئ، ولا تثير أي إحساس بالإثارة لديه، فلا تحفزه لنيل الدلالة التي تحتويها، لأن دلالاتها ظاهرة سهلة المنال، وعلى النقيض من ذلك الصورة العميقة ذات الفنية العالية في صياغتها واستحضار أجزائها والتأليف بينها على نحو بديع، وفيها تظهر عبقرية الشاعر في جمع أطرافها، مما يحمل على تدقيق النظر فيها وتحليلها لبلوغ ما أراد الشاعر، ويجعلها أعلق في الذهن والعاطفة من سابقتها البسيطة، ومن الجدير بالملاحظة أن الصورة الفنية لا تقتصر على أطراف التشبيه المعهودة، فقد شملت كل ما من شأنه أن يضيف عليها حيوية وصدقاً في العرض كاللون والحركة، حتى إنها ترتقي بإعمال حواس الإنسان المختلفة كالذوق والشم واللمس، وبذلك يرتقي التصوير الذي يستطيع أن يتواصل مع حواس الإنسان، مما يعمق الفكرة والعاطفة في نفس القارئ، ويجعلها لصيقة أفكاره ومشاعره.

ويرى جابر عصفور، أن أهمية الصورة الشعرية تكمن في "الطريقة التي تفرض بها علينا نوعاً من الانتباه للمعنى الذي تعرضه، وفي الطريقة التي تجعلنا نتفاعل مع ذلك المعنى ونتأثر به، إنها لا تشغل الانتباه بذاتها، إلا لأنها تريد أن تلفت انتباهنا إلى المعنى الذي تعرضه، وتفاجئنا بطريقتها في تقديمه" (1).

فالقدره لجمالية المكان في القصيدة الحديثة، هي تقديم الصورة بطريقة مختلفة عن الطريقة التي تقدمها أية جمالية أخرى، فالعلاقة التي تحيلنا القصيدة إليها هي المركب

(1) الصورة الفنية في التراث النقدي: 363

بين العاطفة والعقل، بين اللغة الإشارية واللغة المعيارية، لذلك لا يولد المجال الشكلي للقصيدة إلا من خلال جمالية الواقع، فنحن عندما نرى الشيء الذي أحالتنا إليه كلمات القصيدة، وصورها لا نراه بعين مجردة- كما يصطلح عليه بفعل المعنى القصدي - وإنما نراه عبر تبادل معقد لمستويات الفعل داخل بنية الواقع المشار إليه بالصّور وداخل بنية القصيدة " (1).

فوظيفة الشاعر المبدع تكمن في تحديد القيمة الإنسانية لأنواع المكان الذي يمكننا الإمساك به من خلال التحليل العلمي الدقيق لأنماط المكان في الصورة الشعرية .
وأما الغاية من الصّورة المكانية في النصّ الشعري فهي " لخلق التوافق النفسي، وربما كان الغموض الذي يكتنف الصورة المكانية، وما تحدثه فينا من آثار أقل بكثير من تلك الأسرار المحيطة بالصورة الموسيقية، فالصورة المكانية يقوم عليها تشكيل الصّورة في الشعر الحديث، لأنّ التشكيل المكاني في القصيدة معناه إخضاع الطبيعة لحركة النفس وحاجاتها، وعندئذ يأخذ الشاعر كلّ الحق في أن يشكل الطبيعة، ويتلاعب بمفرداتها وبصورها الناجزة كيفما شاء، ووفقا لتصوراته الخاصة، إذ رأى أنّ هذا هو الطريق الوحيد أو الأسلوب الأصدق في التعبير عن نفسه " (2).

وقد ظهرت الصورة الشعرية في قصائد السقّاف في جانبين :

§ الجانب الأول : تمثله الصورة الحسية التقليدية، والتي تقوم على المشابهة والاستعارة والمجاز سيرا على نهج الشعراء القدماء في صورهم .

(1) انظر : المصدر نفسه : 365

(2) الصورة الفنية في التراث النقدي : 255

§ الجانب الثاني : استفاد من التطور الذي أصاب الصّورة الشعرية ، فكانت صورته أوسع وأخصب من التشبيه والاستعارة ، فهي وإن استفادت منها إلا أنها كانت صوراً مركبة وكنيّة حملت جانبا كبيرا من الأصالة والإبداع ، وتكونت من صور جزئية عديدة .

ومن التشبيهات التي وردت عند السقّاف في قصائده ، التشبيهات المنتزعة من الواقع ، والعصر الذي نعيشه ونشهده ، فتستمد الصورة المكانية من مادته بكل صورته الفنية وتفصيله الجمالية ، التي تمدّ الشاعر بفيض من الصور تتشكل في القصيدة ، فترسم لنا لوحة فنيّة زاخرة بالحياة .

ومن الجوانب التي ينهض الوصف في كشفها ، (الأبعاد السياسية) و(الاجتماعية) و(النفسية) للأحداث المرتبطة بالمكان من قبل الشاعر نفسه أو من يحدث عنه .
ومن هنا نجد أنّ هناك ارتباطا واضحا في شعر السقّاف بين الوصف والصورة الشعرية الفنية ، فالوصف يكمل الصورة الشعرية ، والعكس صواب .

يقول السقّاف في وصف الوطن العربي :

ياموطناً لبسَ الهوانَ وأرضهُ	أرضُ الخلودِ وجنّةُ الشعراءِ
نظمتُ محاسنكَ الطبيعةَ مثلما	نُظمتْ عقودُ لآلئِ الحسناءِ
وأنقهمُ بؤسَ الحياةِ مضاعفاً	واتركهمُ في جُملةِ الفقراءِ

وهم الذين بجبنهم قد حَقَّقُوا ما قد أُتِيحَ لأَجْبِنِ الجَبْناءِ

فإِذَا ليوثِ الغابِ تُخْلِى غابَها فرقاً وتسلمها إلى الحرباء⁽¹⁾

البعد السياسي للشاعر ظاهر في وصفه للمكان العربي ، والوصف هنا يسهم في تحريك المكان ، فهنا أضيف على المكان صورة فنية عميقة ، وصور الوطن بشخص يلبس لباسا ، واللباس هنا هو لباس الذل والهوان ، صورة فنية تضيف على المكان حساً داخلياً يبين الإحساس لدى الشاعر بالذل الذي يعانيه الوطن العربي ، الذي صورّه بأنه أرض الخلود وشبه أرضه بالجنة التي يتجلى على أرضها الشعراء .

وصور الطبيعة بالشخص الذي ينظم ويزين المحاسن التي تجمل وتزيد من روعة الوطن تعددت الصور الفنية في قصيدة السقاف ، وتعددت معالمها .

نجد أن الشاعر استعان بالوصف على رسم صورة تشبيهية منتزعة من عالم المكان ، فالشاعر استعان بالمفردات المحيطة بالواقع المكاني فتمثلها في صورته .

ولننظر أيضاً في هذه الصورة التي قدمها لنا الشاعر في وصفه لمدن اليمن :

يا طير حدثني عن الأقدمين عن حمير عن سبأ عن معين

وعن حضارات السنين السنين فأتت قصاصاً دقيقاً أمين

يا طيرُ يا عصفورُ يا أصفر

لا تحزننْ يا طيرُ للذكرياتُ فكلُّ ما ولىّ توَلَّى وفاتُ

فالقومُ قد هبُّوا فما من سباتُ والمجدُ - إنْ جدُّوا - قريبٌ وآت⁽²⁾

(1) ديوان شعر السقاف : 423-424 .

(2) المصدر نفسه : 307

وأبضا هذه صورة تشبيهية أخرى منتزعة من عالم المكان ، فنجد قد استخدم في هذه القصيدة الصور البلاغية القديمة ، فهو يصور لنا مدن اليمن (حمير) و(سبأ) و(معين) في صورة قائمة على التشخيص ، فصور الطير بإنسان حزين عندما يتذكر الأسلاف الماضية صور تشبيهية جمعت جمال الوصف ومحاسنه من خلال العاطفة الجياشة التي أظهرها الشاعر في تصويره لهذه الأمكنة .

وكما ورد معنا سابقا ، بأن المكان يحتلّ حيزا كبيرا في شعر السقّاف ، ويحتلّ أيضا نصيبا في صور الشعريّة ، فالمكان جزء من الطبيعة التي يحاكيها الشعراء ، فتظهر صورة المكان عنده في صور مفردة ، أو صور مركبة وفيما يلي تلك النماذج من الصور الشعريّة :

§ أولا : الصورة المفردة :

وهو أن تتخذ الصّورة وضعا صوريا واحدا متفردا عن غيره ، وإن كان في الوقت ذاته غير منفصل عن البناء العام للصورة الكلية (القصيدة) (1).

وقد تحتوي هذه الصورة نوعا من التشبيه أو الاستعارة منفردا تحكمه علاقات تفضي إلى الانسجام ، وتحقيق التناغم بين أطرافه ، مهما بلغت درجة الاختلاف ، ويسعى الشاعر في الوقت ذاته لتألف المتناقضات ، وهذا يدلّ على مقدرة الشاعر الإبداعية في ذلك .

أمّا في الصورة المنفردة فيمكن لنا أن نعدّ العلاقة القائمة بين حدّي الصورة التشبيهية والاستعارة ، نموذجا يمثل طريقة الشاعر في ترابط العناصر مع بعضها بعضا .

(1) الصورة الفنية في شعر أبي تمام : 177

ومن نماذج الصورة المفردة في شعر " أحمد السقاف " :

ثُوري على العُدوانِ ثُوري وتقحّمي لهبَ السَّعيرِ
 ثُوري فقد كلَّ النِّداءِ وهزَّ سَكَّانَ القُبُورِ
 ثُوري فليست من السَّوامِ وليست فاقدة الشُّعُورِ
 والقُدسُ جاريةٌ تُطأطئُ تحتَ أقدامِ المُغيرِ⁽¹⁾

يلعب المكان هنا دورا مهما في الصورة المفردة، إذ يشكل طرفا فيها فيتحقق الانسجام في اندماج الصورة الحركية، مع الصورة البصرية (الثورة على العدوان، وتحرير القدس) فالصورة الأولى تكمل الصورة الثانية، فالمفردة (ثوري) عمقت الإحساس الحركي في القصيدة، وكثفت المعنى الشعري لمفرداتها، فالشاعر يعمل دائما على تركيز أفكاره، وأوصافه، وتكثيفها بتشبيه شيء ما بشيء آخر في صورة جديدة، وصورة الثورة مأخوذة من فكر الشاعر، وتجربته التي تكشف عن دلالات الثورة في المكان وتبين العمق الحسي لدى الشاعر المرتبط بالبعد السياسي.

وفي صورة له مختلفة يمدح فيها بلاده، فيقول:

يا بلادي أنتِ السَّناءُ من الكونِ
 وأنتِ الجمالُ يسْبي ويَسْحَرُ

⁽¹⁾ ديوان شعر السقاف : 188

جاش شعري عليك حين أضاعوك

ومن قلبي الرقيق تفجر!!⁽¹⁾

تظهر الصورة المنفردة في شعر الشاعر من خلال نداءه لبلاده " المكان " الذي تتعمق تجربة الشاعر من خلاله ، وتظهر حالات من اليأس في تصويره (جمال بلاده ، وخوفه وجزعه عندما ضاعت)، فنجد أن الشاعر قد حقق الانسجام في الأبيات السابقة من خلال جمعه بين الصورة الحسية ، " وهي جمال بلده وسحره " والصورة الحركية " في قوله : "جاش شعري عليك حين أضاعوك " فالصورة الحركية هنا وهمية ، فدلت الصورة المفردة هنا على تفجع قلب الشاعر وتألمه لفقدان بلاده وضياعها . فجيشان الشعر لدى الشاعر عندما أحسّ بضياع بلاده (المكان) ، شكل صورة ذهنية يتنبأ بها الشاعر عن اقتراب عودة عصر الأمجاد ، ففي هذه الحالة يتحقق التناغم في أجزاء هذه الصورة المحسوسة التي تكشف عن معانٍ فكرية ، فالأمجاد والتاريخ معانٍ تدرك في الذهن يلبسها الشاعر أحاسيسه وعواطفه . فنجد أن قصيدة الشاعر هنا تقوم على التفاعل العميق مع النص الشعري ومعطياته ، فيعمل على إيصال أبعادها النفسية والشعرية إلى المتلقي .

وفي صورة منفردة أخرى له يبين صورة للطفل المشرّد الجائع ، فيقول :

غدرَ الزمانُ به فهاما

جوعان لم يذق الطعاما

حبُّ في تشرّدِه عظاما

متسرّبُ بالبؤسِ يسْـ

ضَ طفولةٍ مُنّتِ سقاماً

ولقيتُه فـ قـيتُ بـعـ

(1) ديوان شعر السقاف : 412

حزنت أن أقول إني — هـ من بلدٍ عربيٍّ منه حراما
ومسحتُ من عينه دَمًا — عةً جائعٍ وجدَّ الطَّعاما⁽¹⁾

نجده أنه اتخذ من صورة (الجوع) وضعا سوريا واحدا متفردا عن غيره ، وإن كان في الوقت ذاته غير منفصل عن البناء العام للقصيدة .

فقد قال هذه القصيدة عندما رأى مشردا في أحد العواصم العربية ، وحزن وتألم لمنظره ، وتخيل حال الأمة العربية ، في عدم التساوي والبعد والنفور من بعضها بعض . فالصورة الذهنية للشاعر ، تخيلت في هذا المشرد صورة للأمة العربية التي تباعدت ، وتخاذلت عن مساعدة بعضها . أما الصورة النفسية ، فتشكل حالة الشاعر وتألمه من المنظر الذي شاهده في المكان العربي .

صورة المكان المنفردة هنا بينت العلاقة بين الصورة الذهنية والصورة النفسية ، وعلاقتها بالصورة المنفردة وهي (الجوع والتشرد) ، فربط بعض الشاعر قصيدته ببعضها الآخر ، وحقق التناغم بين أطرافها مهما بلغت درجة الاختلاف ، ويسعى الشاعر في الوقت ذاته لتألف المتناغرات ، وهذا يدل على مقدرة الشاعر الإبداعية في ذلك .

(1) ديوان شعر السقاف : 212

• ثانيا : الصورة المركبة :

تضم الصورة في هذا النوع " عددا من الصور ترتبط كل واحدة منها بالأخرى على نحو ما ، ويتألف من الجميع شكل صوريّ أوسع وأشمل ، وأكثر تشعبيا وتشابكا " (1) .
فالصورة المركبة هي تتابع صور جزئية وتناسقها لإنتاج صورة واحدة موسّعة أو مكثفة .

• الصورة الموسّعة :

وهي الصورة " التي تؤلف منظرا عاما مشكلا من مجموعة الصور الثانويّة المترابطة ضمن إطار خيالي محدّد الجوانب مهما اتّسع " (2) .

وقد ورد في شعر السقاف نماذج من هذه الصور ، يقول :

بغدادُ يا ربيعةَ الأصول

ياضجةً عظيمةً في مسمع الزّمن

من الذي يجهلُ ما قدمت من ؟ !

أبناؤك الأبطالُ كالسود!

يُحطمون الحقدَ والأطماعَ والفتن⁽³⁾

(1) الصورة الفنية في شعر أبي تمام : 181 .

(2) المصدر نفسه : 182

(3) ديوان شعر السقاف : 80

فصمود بغداد ووقوفها في وجه الأعداء ، تمثل صورة ذهنية تحمل معاني حبّ الوطن
 والتماهي مع مفرداته ، إذ تتسجم الصورة مع صمود بغداد وأبنائها في وجه الشدائد ،
 ويمدون أرضهم ووطنهم بالحبّ ، والانتماء له . فتتعاون المحسوسات مع المدركات
 والوجدانيات لتعبّر عن توحّد الشاعر بالمكان ومتعلقاته ، ومن خلال الألفاظ المعبرة مثل
 (ياضجّة عظيمة في مسمع الزّمن) و(يُحطمون الحقدَ والأطماعَ والفتنَ) ، فتشكل هذه
 الصور الحركيّة جزئيّة أخرى تعيد التّفاؤل بالنصر ، وهذا يجعل الصورة تمتدّ وتتسع إلى
 صورة حسيّة أيضا .

ويظهر جمال هذه الصورة المركبة عندما يوفق الشاعر بين رفعة بغداد ، وأصالتها على
 طول الزمن ، ومطمع الأعداء بها ، وبين بسالة أبنائها بالدفاع عنها ، وطرد العدو منها .

وتظهر الصورة الموسعة في صورة المكان الكويتي ، في إظهار حبه و عشقه ، وخوفه من
 خلال المكان ، يقول :

حملتُك في القلبِ أجملَ طفلةً

وخفتُ عليكِ الدُّجى والذُّبابُ

وعمّدتُ سيفي بعزمِ المهلِّبِ

وكنْتُ الصِّبورَ وكنْتُ المُعذِّبَ

وما قيمة الحبِّ لولا العذابُ

يقول لي الناس : ما اسم الحبيبة

لقد حيرَ الفكرَ هذا السُّؤال

فقلت : الحكاية جدا غريبة

فما من غموض وما من خيال

أعيدوا التأمل في كل بيت

فقالوا : عرفنا الكويت .. الكويت⁽¹⁾

فالمكان عند الشاعر صورته بالعشيقه والحبيبه التي شغفها حبها ، وهام بها ، فلفظه (المعذب ، والحب ، والحبيبه ، الصبور ، حير الفكر ... الخ من الألفاظ التي لم نعطيها حقها في قصيدته هذه) ، فتجربة الشاعر وإحساسه بالمكان وبتاريخيته وبعراقته جعلت منه صورة حسية لمحبوبة جميلة ، فيتحقق التناغم بين الربط بين عناصر الجمال ، ومن هنا تظهر قيمة الشعر ، والتعبير بالصورة - كما نعلم - يُعدّ خاصية شعرية .

فصورة المكان تمتد جزئياتها لتعطي صورة مركبة ، فالكويت (هي البلد التي عشقها الشاعر من كل قلبه ، ونظم فيها شعره الغزلي السياسي) ، فتشكل هذه الصورة السمعية البصرية ، جزءا من الصورة الموسعة ، وهناك أيضا صور حركية تتناسب مع القصيدة لتشكل ، وتبين الواقع الذي يعيشه الشاعر ، الذي يُعدّ وسيلة إلى تنشيط الحواس ، لتعطي بعدا ذهنيا وفكريا يوصل المتلقي إلى عمق تجربة الشاعر وأفكاره ومشاركته أحاسيسه وعواطفه .

وتظهر الصورة الموسعة في إظهاره لصورة لبنان ، وما تعاني فيه من الشتات

والضياع ، يقول السقاف :

(1) ديوان شعر السقاف : 96-105

يا أمّتي لبنانُ يَبْحَثُ في الشّتاتِ عن النّصيرِ
يُهدِي إلى الجولانِ ما يُهدِي الأسيرُ إلى الأسيرِ
والشعرُ ما جدّواهُ؟ إنْ ظلَّ العتابُ على السُّطورِ
هلاً نظرتِ إلى الجنوبِ وثُرتِ بالغضبِ المُثيرِ⁽¹⁾

نجد من خلال الأبيات السابقة أنّ الشاعر استخدم الصور الموسّعة (المركبة) فتشكّلت عنده مجموعة من الصور تتألف مع بعضها بعضاً، فيهدف الشاعر من خلالها إلى تقديم عاطفة أو فكرة أو موقف على قدر من التعقيد .
فصوّر لبنان صورة الإنسان السجين الذي سُجن من غير حقّ ، ينادي ليجد من يدافع عنه ، ويذكر الجولان ليبين لنا تقاعس العرب وتخاذلهم .
فالصورة الأولى صورة حسيّة ، عندما يقول (لبنانُ يَبْحَثُ في الشّتاتِ عن النّصيرِ) والصورة الثانية صورة ذهنية ، (عندما يستحضر ذكر الجولان ، وربطها بلبنان (يُهدِي إلى الجولانِ ما يُهدِي الأسيرُ إلى الأسيرِ) ، وتجسّدت عندها الصور الحركية من خلال قوله (هلاً نظرتِ) ، صورة توحى بالحركة ، مبيّنة للمعاناة والحزن والتألم الذي يعانيه الشاعر لفقد لبنان .
فقد برزت الصورة المكانية المركبة ، من خلال تصوّر الرؤية المكانية للشاعر بجوانبها المختلفة ، وتشكل بجمالها فناً كامل الخلقه والروح ، وهي تشكل أيضاً عنده وحدة عضويّة ، ووحدة نفسيّة أيضاً .

(1) ديوان شعر السقاف : 192

فالصورة الشعرية عنده تعتمد على الإيحاء بالمعنى ، وتهتم بالوجدان والمشاعر ،
وبما تثيره في نفس المتلقي من الأحاسيس النفسية .

٧ الصورة المكثفة :

وهي " الصورة المركبة التي تتشكل في الخيال منظرا صورياً ممتدا توحى به
مجموعة قليلة من الصور المتداخلة " (1).

إذ تتداخل الصور لتعطي صوراً عميقة ومكثفة ، والاختلاف بينها وبين الصور الموسعة
أن الصور الموسعة محدودة الخيال (إن لم تكن قليلة جداً) ، أما الصورة المكثفة
يكون الخيال فيها أكثر قليلاً ، مع عدم المغالاة فيه .

ففي صورة له تتكثف فيها الصور الجزئية المكانية لتعبر عن حبه للجولان ، والقدس
وأرض الرافدين ، يقول :

حملتُ في مُهجتي الجولانَ باكيةً	وفي الحنايا ضمنتُ القدسَ والنَّقبا
وفي فؤادي أرضُ الرافدينِ فقد	صدتْ بأبنائها الأطماعَ والنوبا
وذو المروعة من يفدي عروبيتهُ	ويرفضُ السيرَ خلفَ المعتدي ذنباً(2)

(1) الصورة الفنية في شعر أبي تمام : 183

(2) ديوان شعر السقاف : 65

يظهر تكثيف الصور المركبة هنا من خلال تكثيف صور المكان في صور تشخيصية فشبه الجولان كأنها طفل صغير بريء يبكي لما أصابه من ضيم وبعد وهجران ، وصوره القدس والنقب ، صورة تجسدية ، توحى بالعديد والكثير من المعاني .

وزاد من تكثيف الصور المكثفة من خلال تصويره أرض العراق بذهنه ، وحتى لولم تكن في حضنه ، لكنها مغروسة في قلبه .

الجولان طفلة باكية بين يديه ، في حضنه وبين يديه (القدس ، وما يعاني من آلام ونكبات) ، (والنقب ، وما يعانيه من احتلال وسيطره عليه من قبل الأعداء) ، أمّا العراق فهي بالقلب لا ينسى أثرها ، وتبقى راسخة متعلقة ،

فالصور التي أوردتها الشاعر (حقيقية) فصور الأمكنة التي رددتها في شعره محتلة وتحتاج إلى من يحررها ، وينهض بها بعد ما حلّ بها من احتلال وجور ، أمّا الخيال الذي أضفاه الشاعر هنا فمن خلال تجسيده لصور الأمكنة ، وجعلها تتقلب بين الصور لحسية والذهنية ، والحركية .

وفي صورة أخرى ينبذ بها الظلم والظالمين ، ويشجع على الثأر لتحرير البلاد من ظلم الأعداء وسطوتهم ، يقول :

والأرضُ أرضُك فاسحقْ رأسَ من ظلّمَا	الجرحُ جرحكُ قم للثأر منتقَا
من يسمع الحقَّ منهم يشتك الصمّمَا	وصرخةُ الحقِّ تأبأها مسامعُهُم
إلى القتالِ تلبيّ القدس والحرمَا	يا قائدَ العربِ إنّ العربَ قد نفرتْ
إن تنطلقْ تزرعِ الأهوالَ والنقْمَا	وفي النفوسِ براكين مدمرَة

فَأَنْتَ فِي كُلِّ يَوْمٍ بَاعِثٌ أَمَلًا وَ أَنْتَ فِي كُلِّ يَوْمٍ شَاحِذُهُمَا⁽¹⁾

في هذه الصورة المكثفة نجد أن هناك عمقا فكريا ، سياسيا ، عاطفيا ، يكمل بعضه بعضا ، ويندرج ضمن سياق واحد ، ألا وهو (وحدة الأمة العربية ، وتخلصها من الاحتلال) ، فصورة المكان هنا واضحة ، فالصورة الشعرية في قوله تلمي "القدس والحرما" عمق فكري وديني لتاريخ المكان .

فقد تعددت الصور في هذه القصيدة فقوله : (صرخة الحق) ، (تلمي القدس والحرما) (وفي النفس براكين مدمرة) ، (بألف نهر لى الجلى تسيل دما) . فنجد أن الرابطة بين هذه الصور رابطة (سياسية) قوية تنسجم فيها علاقات الصور ،فكرا وعاطفة وإحساسا ، فالعلاقات الحسية تناسب مع يملي به الشاعر من أحداث توقظ القلب ، وتنبه العين ، فنلاحظ أن التحام علاقات الصور بالعلاقات السياسية والدينية والتاريخية ، تشكل قيمة تعبيرية قوية ، تتكثف فيها أجزاء الصور وتصبح أكثر تشعبا ، فصور الشاعر نامية ومتطورة ، وألفاظه مختلفة ومتوازنة .

وهكذا فإننا نرى أن الصور الشعرية الحديثة ، هي صور تعتمد الإيحاء بالمعنى ، وتهتم بالوجدان والمشاعر ، كما أننا نجد الشعراء يسعون لرسم صورة مركبة من خلال الصور الجزئية ، وبذلك فإن الصورة الشعرية قد ارتقت بفضل المزج بين الصورة الذهنية والحسية واعتمادها الوحدة العضوية في الصورة حين تتكون من مجموعة من الصور الجزئية التي تتضافر معا للتعبير عن الصورة المركبة ، سواء أكانت موسعة ، أم مكثفة .

(1) ديوان شعر السقاف : 296-300 .

• العاطفة التي تنبثق من المكان .

كانت عاطفة الشاعر في الديوان ثائرة على الدوام، فلا يلمح في أي قصيدة من قصائده فتور في حدة العواطف، كما تباينت عواطف الشاعر في نوعها، واختلفت في اتجاهها، فتوجهت بشكل عام إلى حبّ الكويت ، وعشقه لترايبها، وتوجهت تارة أخرى إلى الوطن العربي بشكل عام وما فيه من أفراح وهموم ، جعلها أفراحه وهمومه ، وفي كل الاتجاهات كانت أحاسيسه قوية؛ لأنها تنطلق من حبّه للوطن وتألّمه لما يجري فيه من أحداث تدمع العين ، وتحزن القلب :

الحزن والاكتئاب:

كان الحزن هو العاطفة الأقوى في هذا الديوان، وهو يستقيم مع طبيعة الموضوع، فكان الديوان صورة داخلية لنفس الشاعر، استطاع أن يصور من خلاله مدى الحزن واللوعة في قلبه، ويمكن التعرف إلى ذلك عن طريق النظر إلى الألفاظ التي كانت تقطر أسى ولوعة، فمعجم الشاعر يدور في فلك الشجن والوجع، وهذا يتناسب مع الواقع الفاجع الذي يحياه، وما أوجده من حزن على الوطن العربي لما أصابه من ويلات وكروب (وخاصة فلسطين) و (احتلال العراق للكويت)، وتكالب المآسي على الوطن العربي بشكل عام ، وتنتضح صورة حياته القائمة في نظرتة إلى الوطن الذي يصعب عليه يراه في هذه الحالة من الاحتلال والهزيمة ، فيتصوره مظلمًا قاتمًا، ويقول في ذلك :

مَادَ مَسْرَى النَّبِيِّ وَاهْتَزَّتْ الْقَدُ سُ وَكَادَتْ تَعُورُ تَلْكَ الْمَغَارَةَ

وَأَلْفَنَا الْخُنُوعَ حَتَّى نَسِينَا مَا وَرَثْنَا مِنْ جُرْأَةٍ وَجَسَارَةٍ (1)

(1) ديوان شعر السقاف : 16

ويقول أيضا :

يا سادتي الإسلام أضحى في خطرٍ
لقد رجفنا نحو أيام التترِ
يا سادتي الطغيانُ يُردي من صبرٍ
إلى متى القدس الشريفُ يُحتقرُ
ويصطلي نارَ حُثالاتِ البشرِ
وتركه جريمةٌ لا تُغفرُ
وقد دعاكم والقلوبُ تُعصرُ
فالصلحُ يا سادةً وهمٌ وخدرُ
فالجشعُ المسعورُ أعماهُ البطرُ
مادام يلقى العونَ في شتى الصورِ (1)

نجد أن العاطفة الجياشة التي برزت في هذه الأبيات ، والدالة على الحزن ، والحسرة على الوطن الذي اغتصبه العدوان ، وتحذيره من أن الأعداء لا سلام معهم ، لأنهم ناقضون للعهود دائما وأبدا ، ولا يتم تحرير البلاد إلا بالجهاد ضدهم في سبيل الله ضدهم ، صورة صادقة تتبعث من حسّ عاطفي مؤثر صبّ تأثيره على هذه الأبيات .

(1) ديوان شعر السقاف : 37

وهل النخيلُ يعيشُ في بلدِ الثلوج

زحفُ العروبةِ في غدِ كالسيلِ جارفاً !

والدربُ نحو القدسِ يعرفهُ العربُ (1)

عاطفة الشاعر هنا عامة ، وليست خاصة به وحده ، فبيّن من خلال أبياته السابقة ألمه وحسرتة على ضياع الحقّ العربي ، وشجع على الدفاع عن هذا الحقّ ، وعدم الاستسلام ، من خلال ذكره للعراق ، والقدس ، وذلك أسلوب عاطفي جيّاش فجّر فيه جميع المشاعر والأحاسيس التي تدور في خلد الشاعر ، وشحن الهموم ، ورفع همم العرب للدفاع عن أرضهم ، وعدم بيعها وتسليمها للأعداء .

الحنين إلى الوطن :

عبّر الشاعر عن حنينه للوطن ، بكل عفوية وبلغة بسيطة سهلة ، تصل إلى قلب المتلقي ، فتزيده حباً وحنيناً للوطن ، وتؤجج مشاعر الحنين عند الشاعر ، وتولد عنده عاطفة قويّة ، تزيد في حنينه وحبّه لوطنه ، فيقول الشاعر :

قلبي يحنُّ إلى الكويت	حَسْبُ الإِجَازَةِ مَا رَأَيْتُ
لا أستطيعُ وقد مضى	شهرانِ بُغْدًا لودرَيْتِ
لا لندنُ تُسلي ولا	تُوركي (2) بما فيها ارتضيت

(1) ديوان شعر السقاف : 60-63

(2) توركي : مدينة جميلة على البحر إلى الجنوب الغربي من لندن .

أَصِفُ الحنينَ ؟ وكيف لي؟
 حُبِّي الكويت كما سَمِعُ
 والوصفُ يَعْجِزُ إنْ حَكَيْتَ
 تَ وكمْ بذا الحُبِّ اُكْتُويتَ
 معبودتي هي أُسْتَرِيـ
 حُ بِذِكْرِهَا أَنِّي مَشِيـتَ
 هي في ديارِ العُربِ مصـ
 باحُ يُنورُ كُلَّ بيتِ⁽¹⁾

فنجده هنا قد فضل وطنه الكويت على "لندن" وجمال وروعة مدنها ، فحبّه الشديد
 للكويت الذي فاق كلّ شيء ، جعلها تبدو في عينه جنة ، ويحزنه فراقها ولو ليوم
 واحد ، وشبه بلده كالمصباح الذي ينير بلاد العرب جميعها .

(1) ديوان شعر السقاف : 91-92

المبحث الثاني

ويشمل :

النتائج والتوصيات

قائمة المصادر والمراجع

النتائج والتوصيات

هدفت الدراسة إلى دراسة صورة المكان الفنيّة في شعر أحمد السقاف ، وقد توصلت الدراسة من خلال هذا الجهد ، إلى مايلي :

§ اتفق الدّارسون على أنّ المكان مشتقّ من الكينونة والوجود الإنساني، ومدى ارتباط الإنسان بالمكان ، وتعميق شعور الانتماء به .

§ تتبثق صورة المكان في شعر أحمد السقاف من كونه أصبح مسرحاً رئيسياً لأحداثه السياسية والاجتماعيّة ، وأبرز فيها معاناة الوطن العربي بأسلوب شعري سهل بعيد عن التعقيد .

§ تعددت دلالات المكان وأبعاده في شعر السقاف ،فجاء المكان العربي محمّلاً بدلالات سياسية ، واجتماعيّة ، وتاريخيّة ،كشفت عن الثغرات والسلبيات التي تعمّ الوطن العربي الراهن .

§ أظهرت الدراسة تأثيره بالمكان الكويتي خاصةً ،والمكان العربي بعامة ، موضعاً همّه الأكبر الذي حملته على عاتقه ألا وهو (القضية الفلسطينية) ، فقد شكل ربع ديوانه قصائد تتحدث عن فلسطين ، وما فيها من أماكن .

§ استخدم الشاعر المكان للتعبير عن أحواله النفسيّة المختلفة ، فكان المكان أليفاً يحسّ فيه بمشاعر الدفء والحبّ والحنان .

§ بيّنت الدراسة جماليات الصورة المكانية في شعر السقاف من خلال دراسة اللغة عنده، والمشهد المكاني بين الوصف والصورة .

أمّا أهم توصيات هذه الدراسة فتتلخص:

§ أن يعنى الدارسون بدراسة الديوان ، والعمل على نشره ، لما فيه من قيم وأفكار تتناسب وضعنا الحالي الذي نعيش فيه .

§ أن يعنى الدارسون ، بدراسة الشعراء الكويتيين ، وتحليل قصائدهم ، مما يسهم في نشر الثقافة الكويتية في الوطن العربي .

§ تخصيص الدراسات لدراسة المكان في الشعر الكويتي ، بخاصة ، والعربي بعامة ، بسبب ندرة الدراسات التي تبحث في هذا الموضوع .

قائمة المصادر والمراجع

1. إبراهيم، نبيلة، (1990م). خصوصية التشكيل الجمالي في أدب طه حسين
الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة .
2. إبراهيم أنيس وآخرون، (د.ت). المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة.
3. إبراهيم، زكريا، (1968م). دراسات في الفلسفة المعاصرة، مكتبة
مصر، القاهرة .
4. الألوسي، حسام الدين، (1980م). الزمان في الفكر الديني والفلسفي القديم
المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان .
5. باشلار، غاستون، (1980م). جماليات المكان، ترجمة: غالب هلسا، دار
الجاحظ للنشر، بغداد، العراق .
6. بدوي، عبد الرحمن، (1979م). مدخل جديد إلى الفلسفة، وكالة المطبوعات
الكويت .
7. بدوي، عبد الرحمن، (1984م). موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية
للدراسات والنشر، بيروت، لبنان .
8. ب.ك. و. ديفيس، (1988م). المكان والزمان في العالم الكوني الحديث
ترجمة: أدهم السّمان، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان .

9. الجرجاني ، عبد القاهر ، (1991 م) . أسرار البلاغة ، الطبعة الأولى،
مكتبة الخانجي ، القاهرة.

10. الجرجاني ، علي بن محمد ، (1991م) . كتاب التعريفات ، تحقيق :عبد المنعم
الحفني ،دار الرشاد ، القاهرة ، مصر .

11. الجهني ، زيد بن محمد ، (2009 م) . الصور الفنية في المفضليات
أنماطها وموضوعها و مصادرها وقيمتها الفنية ، الجامعة الإسلامية ، كلية اللغة
الآداب ، المدينة المنورة.

12. حسين ،خالد حسين ، (1421هـ). شعرية المكان في الرواية الجديدة
مؤسسة اليمان ، الرياض .

13. خوري ، إلياس ،(1990م) . الذاكرة المفقودة : دراسات نقدية ،دار الآداب
،بيروت .

14. الدهوني ، رُقيّة ، (2008م) . مقالات في الأدب الكويتي المعاصر ، دار
المشرق للطباعة والنشر ، الكويت.

15. الدليميّ ،سمير علي ، (1998م) .المكان في النصّ المسرحي ، دارالكندي
للنشر والتوزيع ،اربد ، الأردن .

16. الربابعة ،حسن محمد ،(1999م) .المكان ظاهرة في ديوان " أغنيات للوطن " للشاعر قاسم أبو عين ،المركز القومي للنشر ، الأردن .
17. الرباعي ،عبد القادر ،(1980م) .الصورة الفنية في شعر أبي تمام، منشورات جامعة اليرموك ،اربد ،الأردن .
18. الرباعي ، عبد القادر ،(1995م) . الصورة الفنية في النقد الشعري : في النظرية والتطبيق ،مكتبة الكتّاني للنشر والتوزيع ،عمان الأردن .
19. الزبيدي ، محمد مرتضى الحسيني ، (1888م) . تاج العروس من جواهر القاموس ، المطبعة الخيرية ، القاهرة ، مصر .
20. الزيد ،خالد سعود، (1982م) . أدباء الكويت في قرنين ، شركة الربيعان ، الكويت .
21. السالم ، فلاح ، (2005م) . الزمان والمكان في الرواية الكويتية ، مكتبة العالم للطباعة والنشر ، الكويت .
22. السعيد ، ناصر ،(1998م) . المكان في الرواية الكويتية عند ابراهيم الملا دار العروبية ، الكويت .
23. السقاف ، أحمد ،(1985م) . أنا عائد من جنوب الجزيرة العربية ، رابطة الأدباء في الكويت ، الكويت .

24. السّاقف ،أحمد ،(1989م) . ديوان شعر أحمد السّاقف ،رابطة الأدباء في الكويت ،الكويت .

25. السّاقف ،أحمد ، (1996م) .ديوان شعر (نكبة الكويت) ، رابطة الأدباء في الكويت ، الكويت .

26. السّاقف ، أحمد ،(2004م) . أحمد السّاقف " نخبة من مقالاته ومقابلاته " مركز البحوث والدراسات الكويتية ، الكويت .

27. السّاقف ، احمد ،(1997م). أحاديث في العروبة والقومية ، رابطة الأدباء في الكويت ، الكويت .

28. سيويوه ، عمرو بن عثمان بن قنبر ،(1988م) . كتاب سيويوه ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ،القاهرة .

29. ابن سينا ، الحسين بن علي (1954م). الشفاء (الطبيعيات) ، تصدير ومراجعة : إبراهيم مذكور ، تحقيق : محمد سليم سالم ،وزارة المعارف العمومية القاهرة ، مصر .

30. الشريف ،باسم ، (1988م) . الزمن والمكان دراسة سيميائية ، دار المعارف القاهرة .

31. الشطّي ، إبراهيم ، (1990م) . موسوعة الأدب العربيّ الكويتي الحديث

" نصوص مختارة

32. الشمري ، عبد العزيز ، (1999م) . الزمن والمكان (نظرية ، وتطبيق) ،

مؤسسة اليمان ، الرياض .

33. صالح ، ليلي محمد ، (1996م) . أدباء وأدبيات الكويت ، رابطة الأدباء في

الكويت ، الكويت .

34. صالح ، صلاح ، (1997م) . قضايا المكان الروائي ، دار شرقيات للنشر

والتوزيع ، القاهرة .

35. صليبا ، جميل ، (1971م) . المعجم الفلسفي ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت

لبنان .

36. عبدالله ، محمد حسن ، (1973م) . الحركة الأدبية والفكرية في الكويت

رابطة الأدباء في الكويت ، الكويت .

37. العبيدي ، حسن ، (1978م) . نظرية المكان في فلسفة ابن سينا ، دار

الشؤون الثقافية العامة ، مصر .

38. عصفور ، جابر ، (1992م) . الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي دار

المعارف ، القاهرة .

39.فالح ، جليل رشيد ،(1984م) . الصورة المجازية في شعر المتنبي ، جامعة الملك محمد بن سعود ، الرياض .

40.فدوى ، عبد الجليل ، (1998م) . فلسطين قلب العروبة ، المطبعة الجابرية للنشر ، الكويت .

41.كادار ، محمد علي ، (1991م) . شعرية المكان في رواية البحر ، المطبعة الأموية ، دمشق .

42.كمال ، نجم الدين ، (1978م) . المكان في النص الشعري ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

43.الماوردي ، عبد الغني ، (1987م) . الفضاء المكاني في القصص القرآني المكتبة التعاونية الاشتراكية ، اليمن .

44.محادين ، عبد الحميد ،(2001م) . جدلية المكان والزمان والإنسان في الرواية الخليجية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت .

45.المحادين ، عبد الحميد ، (1977م) . جدلية الزمان والمكان في روايات عبد الرحمن منيف ، مؤسسة الهداية للنشر ، البحرين .

46.محفوظ ، حافظ ، (1987م) . أقلام خليجية ، المطبعة العصرية ، الكويت .

47. محمد ، علي عبد المعطي ، (1984م) . قضايا الفلسفة العامة ومباحثها

دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، مصر .

49. محمود ، حسني ، (1420هـ) . بناء المكان في سداسية الأيام الستة

لأميل حبيبي ، مجلة علامات في النقد النادي الأدبي ، جدة ، السعودية .

50. مجلة (أنصار العرب) ، (1990م) . المجلد الرابع ، رابطة الأدباء في

الكويت ، الكويت .

51. مجلة الحدث : (1998م) ، المجلد الخامس عشر ، الكويت .

52. مجلة (ملتقى الثقافة) (1992م) . العدد الرابع والاربعون ، الكويت .

53. مسلم ، طاهر عبد ، (2003م) . عبقرية الصورة والمكان : التعبير - التأويل

-النقد ، وكالة المطبوعات ، الكويت .

54. معلوف ، لويس ، (د.ت) . المنجد في اللغة والآداب والعلوم

بيروت ، المطبعة الكاثوليكية .

55. ابن منظور ، جمال الدين أبو الفضل ، (د.ت) . معجم لسان العرب ، بيروت ،

دار صادر .

56. المنشاوي، حسين ، (2004م) . الرواية والمكان (دراسة تاريخية) ، دار المعارف ، القاهرة .

57. مونسي ، حبيب ، (2000م) . المكان في الشعر العربي (دراسة فنية وصفية) ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق .

58. الناصري ، فهد رجيل ، (2005م) . الزمان والمكان وعلاقتهما في الشعر الحديث ، المطبعة الهاجرية ، البحرين .

59. النصير ، ياسين ، (1986م) . إشكالية المكان في النص الأدبي: دراسات نقدية ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد .

60. الوقيان ، خليفة ، (1977م) . القضية العربية في الشعر الكويتي ، مطبعة الكويت العامرة ، الكويت .

61. اليماني ، سامح ، (2000م) . خواطر في القومية العربية ، الفيحاء للنشر الكويت .